الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم: اللغة العربية وآدابها

تخصص: دراسات لغوية

# المصطلحات البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين -ج1-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

**إعداد الطالبتين:**
**– جهيدة عبدات**
**– أمال ساسي**

**إشراف الأستاذ:**
**قادة يعقوب**

**لجنة المناقشة:**

| | | |
|---|---|---|
| – أ/د. فرحات بلولي | جامعة البويرة | رئيسا |
| – أ/. قادة يعقوب | جامعة البويرة | مشرفا ومقررا |
| –أ/د. نادية أوديحات | جامعة البويرة | عضوا ممتحنا |

**السنة الجامعية: 2017/2016**

# كلمة شكر

في البداية الشكر لله الذي أعاننا على إنهاء هذا العمل فالحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة.

إلى من أرشدنا... أستاذنا "**قادة يعقوب**" فمنك تعلّمنا كيف يكون التفاني والإخلاص في العمل ومعك آمنّا أنه لا مستحيل في سبيل الإبداع، فلك كل الشكر والتقدير على جهودك القيّمة وتوجيهاتك السديدة.

# مقدمة

**مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على أفصح الناطقين، محمد وعلى آله وصحبه ومن تمسّك بهديه إلى يوم الدين.

وبعد...

يحتل علم البلاغة من المكانة السّامية والمرتبة الرفيعة بين العلوم الدينيّة والعلوم العربية ما لا يستطيع أحد أن ينكره أو يشك فيه، فقد نشأت البلاغة كغيرها من علوم اللّغة العربية لخدمة القرآن الكريم، وإتقان اللغة وتعليمها والوقوف على أساليبها، وكما هو معروف ليس هنالك علم ظهر دفعة واحدة وإنّما عليه أن يمرّ بمراحل، فقد مرّت البلاغة العربية بمراحلَ مختلفة، كما شهدت تجاربَ متعدّدة لتصل إلى ما وصلت إليه اليوم.

وموضوع علم البلاغة هو ذلك الفن الأدبيّ الّذي نزل به القرآن الكريم، والّذي به أعجز العرب بيانه وفصاحته، وعندما كان النّظر إلى الأدب على أنّه علم يدرس التّعبير الجميل عن فكرة جميلة، كانت علوم البلاغة ومسائلها ثمارَ تلك المحاولات لإحصاء مظاهر الجمال في التّعبير الأدبي.

فلمّا كانت البلاغة العربية لها أهمية عظيمة، ومكانة جليلة اعتنى بها العلماء عناية فائقة، ودقّقوا النّظر في مسائلها التي تنوعت وتشعّبت، كلٌّ بما يناسب علمه الذي هو مشتغل به، فتفاوتت العناية من عالم إلى عالم ومن فن إلى فنّ، فالمتتبّع لتاريخ هذا العلم يلاحظ كثرة العلماء الّذين اهتموا به وكذلك يلاحظ عُلُوَّ مكانتهم وجلالتها.

وممّا لا شك فيه أنّ التراث العربّي الإسلامي القديم ثَرِي بأسماء راقية متواضعة طالما كان هدفها الإلمام بجوانب العلم والمعرفة، ففي مجال التأليف البلاغيّ نجد كثيرا من العلماء الّذين ساهموا في بناء صرح هذا العلم، والّذين لمعت أسماؤهم لتُضيء هذا العلم، ومن أبرز هؤلاء أبو عثمان الشّهير بلقب

الجاحظ الشخصية الفذّة التي ذاع صيتها بين أوساط العلماء، فهو من الأشخاص القليلين الّذين فرضوا أنفسهم على النّاس وعلى التّاريخ، وذلك نظرًا للمكانة الّتي حفل بها، ولعلّ أنّ هذا كلّه راجع إلى القدرة العقلية التي مكّنته من تأليف كمّ هائل من المؤلفات في مختلف الموضوعات الّتي لا تقل أهمية من كتاب لآخر، وهذا التّنوع والنباهة التي اتّصف بهما الجاحظ جعله محطة الباحثين والدّارسين الذّين قاموا بتتبع حياته ومسيرته العلمية.

إنّ المؤرخ لعلم البلاغة يلاحظ الأهمية التي حضي بها الجاحظ في بناء صرح هذا العلم، إذ يقف في مكان الصدارة والزعامة حتى أنّ البعض عدَّه مؤسّسا لعلم البلاغة بكتابه البيان والتبيين، كما نلاحظ مجموعة من المصطلحات البلاغية التي انتشرت في كتابه، ومنه نطرح التساؤلات التالية:

**ما البلاغة وكيف نشأت؟ وهل كانت هناك دراسات قبل الجاحظ؟ وما أثر البيان والتبيين في البلاغة خاصّة؟ وما هي المصطلحات التي تطرق إليها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين الجزء الأول؟**

وعلى الرغم من أنّه من الصعب في بعض الأحيان أن نعثر على مفهوم بعض المصطلحات المتداولة على لسان الجاحظ، إلاّ أنّ ذلك لم يثن عزيمتنا بل زادنا إرادة من أجل إثبات أنّ ما توصّل إليه العقل العربي ليس بالأمر الهيّن، إضافة إلى الصعوبة التي واجهناها في أسلوب الجاحظ الاستطرادي عند تناوله لتعريف بعض المصطلحات، وكذلك أسلوبه على ازدواج معنوي: معنًى صريح ظاهر، سهل الإدراك، واضح الدلالة، ومعنىً خفي غامض، صعب المنال.

ثم قيّدنا هذا البحث بمدونة البيان والتّبيين، حتّى لا ندخل من الباب الواسع كان الاختيار واقعا على الجزء الأول من هذا الكتاب، فكان موضوع بحثنا "المصطلحات البلاغية عند الجاحظ البيان والتّبيين الجزء الأول، وقد اخترنا هذه المدونة لأسباب هي:

- اتصافها باللّغة الراقية، التي يكتسب الباحث من خلالها المعرفة العلمية وقوّة التفكير.

- نبوغ مؤلِّفها ونباهة عقله، وكذلك المكانة العالية التي حضي بها في علم البلاغة خاصةً، إضافة إلى الدّور الرائد الذي أداه في بناء صرح هذا العلم.

ولمّا كانت دراستنا في المصطلحات البلاغية ارتأينا أن ندرس هذا الكتاب كونه أول كتاب في البيان العربي، حيث يحمل اسم البيان صريحا، ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع المشاركة في إثراء هذا الموضوع، معرفة الأصول الأولى لعلم البلاغة ومعرفة المصطلحات البلاغية الّتي كانت موجودة في عصر الجاحظ وقبله.

وعلى هذا الأساس اخترنا هذا الموضوع الذي جاء مستندا للدراسات السابقة التي استأنسنا بها، وسايرنا بها بعض أجزاء هذا البحث، ومن بين تلك الدراسات: النظريات اللّسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين لمحمد الصغير البناني، والمقاييس البلاغية عند الجاحظ في كتابه البيان والتّبيين لفوزي السيّد عبد ربّه.

ركّزنا في بحثنا على عدة مصادر أعانتنا على التعمق في المصطلحات البلاغية، والكشف عن دلالتها أهمها:

البيان والتبيين للجاحظ، معجم الأدباء لياقوت الحموي، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين لمحمد الصغير البناني، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين لفوزي السيد عبد ربه.

وخطّتنا في هذا البحث: مقدّمةٌ وفصلين وخاتمة، عنونا الفصل الأول البلاغة قبل الجاحظ، احتوى على ثلاثة مباحث، المبحث الأول ماهية البلاغة ونشأتها، أمّا المبحث الثاني فقدّمنا فيه تعريفا للجاحظ وكتابه البيان والتبيين، وفي المبحث الثالث قدّمنا تعريفات لبعض المصطلحات البلاغة قبل الجاحظ وهذا قصد التمهيد للفصل التطبيقي الذي درسنا فيه المصطلحات البلاغية في البيان والتبيين، معرّجين على

مبحثين، خصّصنا المبحث الأول للحديث عن المصطلحات البلاغية العامة وهي مصطلح البلاغة، الفصاحة، البيان والبديع، ودار المبحث الثاني حول المصطلحات الخاصة، وختمنا البحث بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث.

اخترنا لهذا البحث منهجًا يتلاءم مع طبيعة الموضوع، حيث اعتمدنا على المنهج الوصفي الذي يتناسب مع المصطلحات التي وردت في البيان والتبيين.

# الفصل الأول

## البلاغة قبل الجاحظ

**المبحث الأول: ماهية البلاغة ونشأتها**

**المبحث الثاني: الجاحظ وكتابه البيان والتبيين**

**المبحث الثالث: المصطلحات البلاغية قبل الجاحظ**

**المبحث الأول: ماهية البلاغة ونشأتها.**

حضيَ مصطلح البلاغة عند العرب بمكانة عالية، حيث تناولها العديد من الباحثين في أبحاثهم ومؤلفاتهم، فقد وروت بمعناها اللّغوي والاصطلاحي.

**1- مفهوم البلاغة:**

**1-1- لغة:**

ورد في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170ه): "بَلَغَ: بَليغٌ، وقد بَلَغَ بلاغَةً، وبَلَغَ الشيء يَبلُغُ بُلُوغا، وأَبْلَغته، إبلاغا، وبلّغته تبليغا في الرّسالة ونحوها، وفي كذا بلاغ وتبليغ، أي كفاية، وشيء بالغ"[1]

أمّا في مقاييس اللّغة لابن فارس (ت 395ه) فجاء تعريف البلاغة على النّحو التّالي:

بَلَغَ: الباء واللّام والغين أصلٌ واحدٌ وهو الوصول إلى الشيء، تقول: بلغتُ المكان إذا وصلت إليه ،وقد تسمى المشارفة بلوغا بحق المقاربة: قال تعالى:﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ الطلاق 2 (...) كذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللّسان لأنّه يبلغ بها ما يريد"[2]

جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711ه): بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغا وبلغه تبليغا، والبلاغة: الفصاحة، (...) وقد بلغ، بالضم بلاغة أي صار بليغا، وقولٌ بليغ: بالغٌ وقد بلُغ"[3]

---

([1]) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م، ص 161، مادة: بلغ.

([2]) أحمد بن فارس، مقاييس اللّغة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999، مج1، ص 156، مادة: بلغ.

([3]) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، 2005م، مج1، ص143، مادة: بلغ.

إذن يمكن أن نستنتج مما سبق أنّ المعنى اللغوي للبلاغة يتلخص في أنّ البلاغة تعني الوصول والانتهاء إلى الشيء أو الكفاية، وكذاك أطلقت على فصيح اللّسان عند بلوغه ما يريد فهي مرادفة للفصاحة، فعندما يقول المتكلم كلاما ويصل إلى غايته يُطلق عليه كلامًا بليغًا.

**1-2- اصطلاحا:**

أمّا البلاغة في الاصطلاح فتكون في الكلام والمتكلِّم.والبلاغة في الكلام: "مطابقتُه لمقتضى الحال مع فصاحتِه، فالكلام البليغ هو الكلام الواضحُ المعنى،الفصيحُ العبارة، الملائمُ للموضع الذي يطلق فيه، وللأشخاص الذين يخاطبون"[1]

والمقصود بمطابقة الكلام لمقتضى الحال هو أنّ يختار الخطيب الكلام أو الخطاب المناسب المقام، حيث نجد العبارة المشهورة للجاحظ "لكل مقام مقال" التي تعني أنّ الخطاب يختلف باختلاف الحال، فالحال التي يناسبها الإيجاز تختلف عن الحال التي يناسبها الإطناب، ولذلك نجد الخطيب يوجز في مواضع معينة ويطنب في مواضعَ مخالفة، وهذا متعلق أساسا بالمخاطَب، فخطاب الذكي يتباين مع خطاب الغبي، بالإضافة إلى أنّ بلاغة الكلام وانحطاطه يكون بتآلف أجزائه ومطابقتهما، حيث لو لم يكن الكلام مركّبا من ألفاظ لا يسمى بليغا وإنّما يسمى فصيحا إذا توافرت فيه شروط الفصاحة.

والبلاغة في المتكلّم: "هي ملكة يُقتدر بها على تأليف كلام بليغ"[2]

فكلمة "بليغ" صفة لا يمكن أن نطلقها على أيّ شخص متكلم، وإنّما هي ملكة توجد عند بعضهم وتنعدم عند الآخرين، لأنّ البلاغة صفة يكتسبها الفرد بفضل القراءة المستمرة والمطالعة المتواصلة.

---

([1]) محمد أبو شارب، المدخل لدراسة البلاغة العربيّة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2007م، ص 203.

([2]) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، دط، القاهرة، 1971م، ص09.

قد عرِّفت البلاغة من قبل العديد من العلماء فذكر بعض منهم:

الجاحظ الذي خصّص بابا في كتابه البيان والتبيين للحديث عن البلاغة وتعريفاتها المختلفة، وهي تعريفات تحدد أو تكشف لنا تصوّر العرب وغيرهم للبلاغة ومن أبرز هذه التعريفات تعريف العتّابي للبلاغة حيث قال: "كلّ من أفهمك حاجته من غير حُبسة ولا استعانة فهو بليغ"[1] فمن قول العتّابي نفهم أنّه حصر مفهوم البلاغة في الإفهام فقط بأيّة صورة كانت.

إلاّ أنّ الجاحظ بادر إلى توجيه رأي العتّابي التّوجيه الصحيح فقال: "والعتّابي حين زعم أنّ كلّ من أفهمك حاجته فهو بليغ لم يعن أنّ كلّ من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف عن حقه أنّه محكوم له بالبلاغة (...) إنّما على العتّابّي إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب والفصحاء"[2]

يدلّ هذا التوجيه على أنّ البلاغة في نظر الجاحظ ليست مجرّد إفهام أو مجرّد إيصال الأفكار للآخرين بأي أسلوب كان، فالتّقديم الجيّد للأفكار يباين التّقديم السّيّء لها، فشتّان بين من يبلغنا أفكاره بصورة آلية جامدة و بين من يفهمنا و يبعث في نفوسنا فيضا من المشاعر والأحاسيس ولا يتأتى ذلك إلاّ بالأسلوب الجيّد السّلس.

كما كان للبلاغة نصيب عند السكاكي (ت626هـ) حيث عرفها بقوله: "بلوغ المتكلّم في تأدية المعاني حدًا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقّها وإيراد أنواع التشبيه والإيجاز والكناية على وجهها".[3]

---

([1]) أبو عثمان بحر بن عمر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ص 113.

([2]) المصدر نفسه، ص 113.

([3]) السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، ص 415.

يتّضح لنا من تصريح السّكاكي أنّه يعرّف البلاغة بحيث يجمع بين تعريف علمَيْ المعاني والبيان عندما ذكر أنّها تأدية المعاني بتوفيَة خواصّ التراكيب مع إيراد كلّ من أنواع التّشبيه والكناية المتعلقان بعلم البيان والإيجاز الذي يدخل ضمن علم المعاني وبذلك نجده لا يأخذ علم البديع بعين الاعتبار.

**2- نشأة البلاغة العربية:**

من المعروف بديهيا أنّ أيّ علم من العلوم لا ينشأ من عدم أو دفعةً واحدة بل يجب عليه أن يمرّ عبر مراحل فهاهي البلاغة العربيّة كغيرها من العلوم مرّت وفق مراحل أهمّها:

**2-1- البلاغة في العصر الجاهلي:**

من الثّابت تاريخيّا أنّ العرب في جاهليتهم كانوا يعيشون في بيئة فتكت بها الأحقاد والخصومات وكانت مصرعا للحروب والفتن والصراعات، فقد حُرموا الأمن والاستقرار فلم تأنس لهما عقولهم وقلوبهم، وبذلك لم يتفرّغوا لطلب العلم أو البحث أو بناء الحضارة كتلك التي خلّفها غيرهم من الشعوب "فقد اشتهر العرب منذ العصر الجاهلي، بالفصاحة والبلاغة والتّمتع بسلامة الذوق في معالجة الكلام من اختيار للألفاظ ووصف للبديع، كما اشتهروا بالبعد عن فضول القول والحشو والإسهاب"[1]

إنّ أبرز ما يلفت نظرنا في لغة العرب في العصر الجاهلي أنّهم تمتّعوا بالفصاحة والبلاغة وكلّه عائد إلى سليقتهم لأنهم لم يختلطوا بالأعاجم فضلّت فصاحتهم سليمةً خالية من الشّوائب والأخطاء، إذ أنّهم كانوا ينتقون الألفاظَ المطابقة تماما للمعنى الّذي يريدونه، إضافةً إلى مراعاتهم لترتيب وتركيب عناصر الكلام، كما أنّهم كانوا يجيدون في استعمال المحسنات البديعية التي تزيد الكلام جمالا أخضع العرب في الجاهلية صناعتهم إلى ضوابط احترموها وأخذوا بها وهي في جانبين:[2]

---

([1]) عبد القادر حسين، فنّ البلاغة، دار غريب، القاهرة، دط، 2006م، ص 09.

([2]) ينظر: السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، مكتبة أنجلو المصرّية، القاهرة،دط ، 2005م، ص47، 48.

**أ. الجانب الأول:** عناية الشاعر بشعره عناية فائقة حرصًا منه على بلوغ مرتبة رفيعة في الفصاحة والبيان، وذلك عن طريق اختيار ألفاظه ومعانيه وصوره، فقد كثُر في أشعار العرب في الجاهلية التشبيهات والكنايات والاستعارات... الخ، حيث أنّ الشعراء والخطباء لم يكونوا يقبلون كلّ ما يرد على خواطرهم من معاني وألفاظ بل كانوا يعيدون النّظر فيها، فيهذبونها حتّى يخرج على النّاس كلاما يحمل بيانا وسحرا يُقرّ به جميع سامعيه، ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كاملا، يردّد فيها نظره ويحيل فيها عقله،حيث كانوا يسمّون تلك القصائد الحوليات والمنقصات والمحكمات.

**ب. الجانب الثاني:** بعد نضوج الشعر وبعد أن يرضى به صاحبه يخرجه على النّاس، فينظر فيه تلك النّظرة النّاقدة التي تفتش عما فيه من عناصر الحسن أو القبح فيعلنون استحسانهم لما استجادوا واستهجانهم لما استقبحوا في عبارات تدل على فهمهم الدّقيق.

يظهر لنا من خلال ما سبق أنّ العرب اعتمدوا في تأليفهم على جانبين، فطلبا في نيل رضا السامع كان الشاعر يهتم كثيرا بشعره فلا يخرجه مباشرة بل كان يوليه عناية فائقة فيعدّله وينقّحه ويقوّمه ويعيد النّظر فيه.

**2-2- البلاغة في العصر الإسلامي:**

وبعدما أشرقت شمس الإسلام على العقول وبدّدت جاهليّتها، وبعد نزول القرآن الكريم الّذي هزّ أفئدة العرب وأبهرهم، وفاق كلامه تعالى بلاغتَهم وبيانهم، فعمّق أذواقهم في صناعة الكلام وأصبح لهم ذوق جديد مُصطَبغٌ بصبغة الدّين والعقيدة الجديدة،"فعلى الرّغم من أنّ القرآن الكريم جاء بلسان عربيّ

مبين، إلاّ أنّه أبهر العرب فكان مصدر دهشتهم فلم يشهدوا مثله من قبل فلا هو بالشّعر ولا بالخطابة ولا كغيره من الفنون الأخرى"[1]

إنّ الدافع الرئيسي الذي أدّى إلى ظهور البلاغة في هذا العصر كان سياسيًّا وعقائديًّا، فالمسلمون يدافعون عن صدق النُّبوّة والدعوة الإسلامية الجديدة "فالحروب التي جرت بين المسلمين الذين يمدحون خصال الرسول صلّى الله عليه وسلم، يهجون المشركين ويسفهون الشرك والوثينة، والمشركون أيضا كانوا يقومون بمثل ما كان به المسلمون من مدح وهجاء، وكلّ ينشد البراعة الفنية والمقدرة البلاغية"[2]

وإذا كان الدّين الحديث قد طمْأنت من عواطف العرب الثَّائرة فارتقت عقولهم، لتودّع حياة الفوضى التي عاشت فيها طويلا،" فإنّ هنالك نفوسا ضالّة حين رأت الدّينَ الجديدَ يباعد بينهما وبين وثنّيتها، حاولت النّيل منه فكان سلاحهم أنّه بمقدورهم التّهوين من شأن القرآن فتحدّى القرآنُ العرب قاطبةً أن يعارضوه أو ينسجوا على منواله في بعض آياته، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ **(البقرة 23)**، إلاّ أنّ كلّ محاولاتهم باءت بالفشل، فانصرفوا عن مثل هذه المحاولات وأيقنوا عجزهم، فآمنوا به، موقنين أنّه ليس من كلام بشر".[3] وهكذا عرف العرب البيان وزادت لغتهم جمالا والسبب الرئيسي هو القرآن وتحديه له "وعندما اختلط العرب بغيرهم من الأجانب أمكنهم التّعرف على طرق جديدة في فنّ الخطابة والكتابة وانتفعوا وكان لها أثرها في أساليبهم ومعانيهم فنلاحظ أنّ الشعر تطور في ألفاظه وأساليبه وأوزانه وفي

---

([1]) ينظر: السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص 58.

([2]) ينظر: عبد القادر حسين، فنّ البلاغة، ص 20.

([3]) ينظر: السّيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص 60.

معانيه وموضوعاته".[1] ويعود الفضل في توسّع علم البيان إلى دخول ألفاظ جديدة ساعدت على تطور أساليب العرب وفنونهم ومن أبزها البلاغة.

"إنّ معظم نصوص كتب السابقين توحي إلى أنّ العرب في صدر الإسلام كانوا يجعلون الإيجاز عمادَ بلاغتهم وركنَ فصاحتهم."[2]

ممّا سبق نستنتج أنّ هناك نقاط اشتراك بين البلاغة في العصر الجاهلي والبلاغة في العصر الإسلامي ومنها الإيجاز حين كانوا يعبّرون بألفاظٍ قليلة عن معاني كثيرة، فيعطون اللّفظ والمعنى حقهما، إضافة إلى اشتراكهما في الطبع والسّليقة.

**2-3-البلاغة في العصر الأموي والعبّاسي:**

وإذا انتقلنا إلى عصر بني أميّة وجدنا الخطابة بجميع ألوانها من سياسية وحفلية ووعظيّة تزدهر ازدهارا عظيما، "وفي كلّ لون من هذه الألوان يشتهر غير خطيب أمّا في السياسة فيشتهر من ولاة بني أمية زياد والحجّاج، أمّا خطباء الوعظ فقد بلغوا الغاية من روعة البيان وفي مقدّمتهم غيلان الدمشقي والحسن البصري وواصل بن عطاء".[3]

ظهر في هذا العصر الكثير من الفرق والأحزاب السياسية والعقائدية، وكان بين هذه الفرق والطوائف خلافات شديدة وصراعات حادة، "فكان الشّعر والخطابة من أبرز الأسلحة في هذا المعترك السّياسيّ والعقائدي الكبير، فكان لكلّ فرقةٍ أو طائفة شعراؤها وخطباؤها الّذين ينتصرون لها ويدافعون عنها ويكيلون لأعدائها من الطّوائف والأحزاب الأخرى الهجاء المرّ"[4]

---

([1]) ينظر: عبد القادر حسين، فنّ البلاغة، ص 21.

([2]) المرجع نفسه، ص 21.

([3]) ينظر: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط8، دت، ص 14.

([4]) السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص 73.

فقد أدّى ظهور الفرق والأحزاب السياسية والعقائدية إلى ازدهار الشّعر الّذي كان سلاح يواجه به كل فريق خصمه، فكلٌّ يسعى إلى اختيار الألفاظ التي تناسب المعنى المراد التعبير عنه، فهم يدركون أنّ فنّ القول والتأثير على القلوب من أهمّ ما يعلنون به عن مبادئهِم وأهدافهِم. "فكان من الطّبيعي أن ينموَ النّظر في بلاغة الكلمة وأن تكثر الملاحظات المتصلة حسن البيان، لا في مجال الخطابة والخطباء فحسب بل أيضا في مجال الشّعر والشعراء، فقد فتح لهم الخلفاء والولاة والقواد والاجواد أبوابهم وكانوا يجعلون جوائز كلٌ منهم بقدر شعره وبراعته فيه فاشتدّ التنافس بينهم، والمهمّ أنّه هُيِّأ لكي يتخيّر كلٌّ منهم معانيه وألفاظه بحيث تصغي لها القلوب والأسماع"[1] فمن عوامل تطوُر البيان، التشجيع الذي حضيَ به الشّعراء من طرف الخلفاء والولاة، فقد أدّى التّنافس بينهم إلى جودة إنتاجهم وحسنت بيانهم.

ولا نكاد نصل إلى العصر العباسيِّ الأول حتى تتّسع الملاحظات البلاغيّة، "وقد أعدّت لذلك أسباب مختلفة منها ما يعود إلى تطور النثر والشعر مع تطور الحياة العقليّة والحضاريّة، ومنها ما يعود إلى نشوء طائفتين من المعلمين، عنيت إحداهما اللّغة والشّعر، وعنِيت الأخرى بالخطابة والمناظرة وإحكام الأدلة ودقّة التعبير وروعته"[2]

فالتطور الحاصل في النثر والشّعر كان السبب الرئيسي في اتساع الملاحظات البلاغية، فالبلاغة في العصر العباسي "اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون وخطبا ومنها ما يكون رسائلا، فعامّةً ما يكون في هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة"[3]،فالبلاغة عندهم تحمل معانٍ تختلف حسب المقام، فأحيانا

---

([1]) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 14–15.

([2]) المرجع نفسه، ص 19.

([3]) شوقي ضيف،البلاغة تطور و تاريخ، ص 20.

يستدعي المقام الإيجاز والاختصار في الكلام، وأحيانا أخرى يلزم على الخطيب الإطالة والتفصيل بغية الشرح والإفهام فلكلِّ مقامٍ مقالٌ، والهدف الرئيسي من هذا هو الوصول إلى كلام بليغ يؤثر به الخطيب في السّامع.

"ومما لا شك فيه أنّ كُتَّاب هذا العصر كانوا يعيشون لإحسان الكتابة في أساليبها ومعانيها، وكان ذوقهم مترفا بعامل ما انغمسوا فيه من الحضارة، وكانت عبارة تعجب في كتاب أو رسالة لهم خليفة أو وزيرا فإذا هم يصعدون إلى أعلى المناصب، لذلك مضوا يصفون كلامهم ويتخيّرونه ممّا يجمع الجزالة والرّصانة مع السّلامة والنصاعة، ومع الرَوْنق والطّلاوة"[1]

وكبقية العصور الأخرى التي سبقت لم يغفل الكُتّاب عن اختيار أحسن الكلام وأجوده، رغبة في نيل محبّة الخلفاء والأمراء، ورغبة في الصعود إلى أعلى المناصب"جعفر من بين هؤلاء الكتاب الّذين برعوا كثيرا في فنون التعبير والذين طالما أداروا بينهم آراءهم في البيان والبلاغة"[2]

---

([1]) شوقي ضيف،البلاغة تطور و تاريخ ، ص 22.

([2]) المرجع نفسه، ص 23.

**المبحث الثاني: الجاحظ وكتابه البيان والتبيين**

**1- التعريف بأبي عثمان بن بحر الجاحظ:**

**1-1- اسمه ونسبه:**على الرّغم مما بلغه الجاحظ من مكانة وشهرة اجتماعية، وفكرية وأدبية، فقد ظلّت بعض معالم حياته وأصله مثار نقاش بين الباحثين، فقد اختلف المؤرخون وتباينت آراؤهم حول نسبه وأصله."هو أبو عثمان بن بحر بن محبوب الكناني الليثيّ المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور (...)، وإنّما قيل الجاحظ لأنّ عينيه كانتا جاحظتين، والجحوظ النتوّ، وكان يقال له أيضا الحدقيّ لذلك"[1]، فكان "الجاحظ" اللّقب الذي التصق به وطارت به شهرته، أمّا ولادته فلم تُعرف بالضبط، بل اختلفت من باحث لآخر، حيث جاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي أنّ الجاحظ قال: "أنا أسنّ من أبي نواس بسنة، ولدت في أول خمسين ومائة وُولد في آخرها".[2]ومنهم من وافق القول السابق ومنهم من ذهب خلاف ذلك فنجدهم يجعلون تاريخ ولادته "سنة 155هـ، وجعلها بعضهم سنة 159هـ، ولكنّ جلّ الباحثين قالوا: إنّ تاريخ ميلاده الصّحيح عام 160هـ".[3]، كانت هذه مختلف الآراء التي تطرقت إلى تاريخ مولد الجاحظ، وكما اختلفت أقوال الباحثين في تاريخ الولادة، كذلك تباينت آراؤهم في تحديد أصله الذي ينحدر منه فمنهم من ذهب إلى "أنّه عربيٌّ صرف من بني كنانة عربي الأصل ولذلك نُعِتَ الجاحظ الكناني"[4]بينما ذهب آخرون إلى "أنّه أعجمي الأصل أو منحدر من الزّنج".[5]

---

([1]) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، تح: (د) إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص 470- 471.

([2]) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج16، تح: (د) إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، ص 74.

([3]) المرجع نفسه، ص 74.

([4]) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص 470-471.

([5]) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج16، ص 74.

رغم عدم وضوح أو ثبات الآراء حول أصل الجاحظ إلّا أنّ جلّ كتاباته ومؤلفاته المعروفة اليوم توحي بأصله العربي كونه اهتم كثيرا بالكتابة باللّغة العربية كما بحث فيما يتعلق بها كالبلاغة والأدب وغير ذلك.

**1-1- ثقافته وشيوخه:**

يعدّ الجاحظ علّامة عصره، فلم يترك مجالا إلاّ وكتب فيه، حيث أنّه لم يكن أديبا فقط، بل كان ناقدا وشاعرا وفيلسوفا وإماما، جعله شغفه الكبير بالقراءة والمطالعة يملك ثقافة واسعة وفكرا شاسعا، فوقوفنا على الكمِّ الهائل من مؤلفاته وإنتاجاته يفسر طموحه وإراداته اللّتان لم تمنعها منغصات كثيرة صادفته في طفولته حيث كانت رؤيته لنفسه وشكله ومقارنته بالآخرين تبعث فيه شعورا بالنّقص وهذا ما يؤثر في مستقبله.

فالجاحظ بالرغم من الصعوبات التي واجهته إلاّ أنّه لم يقلل من جهوده ومثابرته إلى أن وصل إلى غايته وهدفه المنشود كبقية العلماء التي لم تعجزهم العراقيل والصعوبات. "ولا ريب في أنّ البصرة التي كانت حاضرة الفكر والمعرفة ومركزا أدبيا ممتازا، فتَحتْ عينيْ الجاحظ على صنوف العلم والأدب والدّين فنهل منها أكبر قدر المستطاع"[1]وعليه فمن العوامل التي ساعدت الجاحظ في اكتساب ذلك الكم الهائل من الثقافة المكان الذي نشأ فيه والذي كان مركزا ثقافيا ينهل منه صنوف العلم، وما زاد ثقافته وشساعة علمه أيضا أنّه "كان كثير الإقبال على المساجد ومنازل العلماء، وكذلك سوق المربد الشهيرة التي كان يستأجرها ليلا لتمضية وقته في المطالعة والبحث"[2]، وبهذا تكوّنت لدى الجاحظ ثقافة هائلة ومعارف واسعة، ويورد ياقوت الحَمَوِي قولاً لأبي هفّان قال: "لم أر قطُ ولا سمعتُ من أحبَّ الكُتبَ والعلوم

---

([1]) فوزي عطوي، الجاحظ دائرة معارف عصره، دار الفكر العربي، بيروت، ط2، 1998م، ص 12.

([2]) ينظر: محمد علي زكي صبّاغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998، ص 28.

أكثر من الجاحظ، فإنّه لم يقع بيده كتاب قطُ إلا استوفى قراءته، كائنا ما كان حتى إنّه كان يكتري دكاكينَ الوَراقين ويبيت فيها للنّظر (...) وإسماعيل بن إسحاق القاضي، فإني ما دخلت إليه إلاّ رأيته ينظر في كتاب، أو يُقلِّب كتبا أو ينْفضُها"[1]

على هذا يعتبر الجاحظ موسوعة للعلم نظرا لاطِّلاعه على الكثير من الكتب سواء فيما يخص الأدب أو الفنون الأخرى، ويظهر ذلك من خلال اعتراف معظم دراسي عصره بفضله على نشأة علم البلاغة خاصة، ونبوغه في كثير من العلوم إضافة إلى المطالعة المستمرة هناك عوامل أخرى مهمة والتي لعبت دورا فعّالا في تحصيل الجاحظ ونبوغه تمثلت في شيوخه، فقد تتلمذ الجاحظ على جملة من أساتذة عصره، والّذين تنوعت ثقافاتهم، وتعدّدت مشاربهم، فكان لهم الأثر الواضح الجليّ على ثقافته وتكوينه العلمي، ومن أبرز شيوخه "أبو عبيدة، والأصمعي، وأبو زيد الّذين أخذ عنهم اللّغة وسمع منهم مناحي العرب وأساليبهم في القول، وأبو الحسن الأخفش الذي أخذ عنه النّحو، والنظّام الذي أخذ عنه علمَ الكلام إضافة إلى معمر بن المثنّى الذي قال عنه الجاحظ: ولم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أبْصَرُ بجميع العلوم منه، كما حدث عن ثمامة بن أشرس النميري المتكلم، ويزيد بن هارون والسّرى بن عبد ربه والقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، والحجّاج بن محمد بن حماد بن سَلَمه"[2]

هؤلاء هم شيوخ الجاحظ الذي تلقّى عنهم أصول اللّغة، وصناعة الأدب، وعلم الكلام وتربّى على موائدهم التي تزاحمت عليها صنوف العلم وفنونه وتنوعت تنوعا نلمس آثاره في نبوغه وسعة علمه وأدبه وكما رأينا سابقا في قول الجاحظ فهو لم ينكر فضلهم عليه بل اعترف به ومجَّده، وعليه فلشيوخ الجاحظ الفضل الكبير، والأثر الواضح على ثقافته وسعة علمه التي اعترف بها الكثير ممّن جاؤوا بعده.

---

([1]) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج16، ص 75.

([2]) ينظر: فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص 13.

**1-3 وفاته وأهمّ مؤلفاته:**

أمضى الجاحظ معظم أيام حياته منكبّا على طلب العلم والنّهل من مشاربه التي تنوعت وتوفرت في بلده البصرة باعتبارها مكانا ثقافيا توفرت فيه العوامل المساعدة على التعلّم والتثقف، " فقد انتقل الجاحظ في سبيل العلم من بغداد إلى البصرة إلى أن أدركته الشيخوخة، وأصيب بالفالج، ولمّا اشتدت عليه استقر بالبصرة – مسقط رأسه– فأقام بها البقية الباقية من عمره، إلاّ أنّه لم يعف نفسه من الكتابة والتأليف، فأخذ ينتج ويبدع، ثم زادت عليه العلة فأصيب بالنقرص أيضا"[1]، فهنا نلمس روح التحدي والإرادة التي تميز الجاحظ بها فرغم المرض الشديد الّذي حلّ به إلّا أنّه لم ينقطع عن الكتابة والتأليف فأخذ يبدع وينتج.

كما ذكر السّيد عبد ربّه كيف صوّر والمبرِّد الحالةَ التي وصل إليها الجاحظ في قوله: "دخلت على الجاحظ في أخر أيامه وهو عليل، فقلت له: كيف حالك؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج، لو نُشر بالمناشير ما حسَّ به، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه، والآفة في جميع هذا أنّي قد جزت التسعين"[2]

كان هذا تصوير وأوصاف لحالة الجاحظ قبل وفاته تُجسدُ لنا المعانات التي حلّت به في آخر أيام حياته التي قضاها في العلم والعمل.

وكما رأينا سابقا أنَّ هناك شكٌّ أو اختلاف في تاريخ ولادة الجاحظ، إلاّ أنّ تاريخ وفاته متَّفَق عليه حيث نجد ابن خلكان يُرجع وفاته "في المحرم سنة خمسةٍ وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نِيف على تسعين سنة"[3]،واتفق معه ياقوت الحموي في معجم الأدباء: "امّا وفاته فلا شك فيها أنّها سنة 255هـ/ 896م"[4].

---

([1]) فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص 32.

([2]) المرجع نفسه، ص 32.

([3]) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ص 470، 471.

([4]) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج16، ص 74.

جسد لنا الجاحظ الإرادة والإصرار والعزيمة وكذا الجدية التي جعلت منه عالما فذا يشهد لها كل من تصفّح مؤلفاته وتتبع مسار حياته، كل هذه الصفات أكسبته مكانة جليلة لا يمكن لأحد إنكارها أو التقليل من شأنها، فالجاحظ مثّل الحضارة العربية الإسلامية أرقى تمثيل وأحسنه.

تعلّق الجاحظ بالعلم كثيرا، أبحر فيه ونهل منه، ألّف كتبا جسد لنا من خلالها شخصيته وأسلوبه وعكس فيها ثقافته واجتهاده الذي رافقه طِوال حياته، وكأيِّ عالمٍ من العلماء تميز بكثرة مؤلفاته وتعدُّدِ مشاربها فلم يترك فنًّا إلاّ وكتب فيه.

ذكر ياقوت الحموي في معجمه مؤلفات الجاحظ مصرحًا: "وهذا فهرست كتب الجاحظ: كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء وأضاف إليه كتابا آخر سمّاه كتاب النّساء وهو الفرق بين الذكر والأنثى، وكتابا آخر سمّاه كتاب الفعل، وقد أضيف إليه كتاب سموه كتاب الإبل ليس من كلام الجاحظ ولا يقاربه، وكتاب الحيوان، وكتاب البيان والتّبيين، كتاب الزّرع، والنّخل، كتاب مسائل القرآن، كتاب فضيلة المعتزلة، كتاب الإمامة على مذهب الشيعة، كتاب العثمانية، كتاب صياغة الكلام، كتاب الرّد على اليهود، كتاب أحدوثة العالم، كتاب التربيع والتدوير، كتاب رسالته في العفو والصفح، كتاب رسالته في الحيلة، كتاب رسالته في مدح الكتاب، كتاب رسالته في الأمل والمأمول، كتاب رسالته في ذم الكتاب، كتاب رسالته في العلم، كتاب رسالته في فضل اتحاد الكتاب"[1].

كما أنّ للجاحظ عددا كبيرا من الكتب الصغيرة التي يسميها الرسائل في مواضيع مختلفة، ولعل أهمها: "رسالة الحاسد والمحسود، رسالة العشق والنساء، رسالة الوكلاء، رسالة في القيان، رسالة مدح التجار وذمّ عمل السلطان، رسالة تفضيل النّطق على الصّمت..."[2]

---

([1]) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج16، ص 106.

([2]) فوزي عطوي، الجاحظ دائرة معارف عصره، ص 43.

كانت هذه بعض مؤلفات الجاحظ التي تشعبت فنونها وتنوعت مشاربها لتشكل مصدرا هاما ينهل منه الباحثون من بعده.

**2-كتاب البيان والتّبيين:**

**2-1- التعريف بالبيان والتّبيين:**

عُرف الجاحظ بوفرة مؤلفاته وتنوعها، ومن بين هذه الكتب كتاب البيان والتّبيين الّذي يعدّ من أهم الكتب وأحسنها وهو في نظرِ النّقاد إمام كتب الجاحظ وأهمها بغير منازع، ولهذا فقد لقي عناية خاصة من الباحثين والناشرين "فصدر الآن فيما يزيد عن عشر طبعات مختلفة التحقيق أولها التي أخرجتها المطبعة العلمية بالقاهرة عام 1893م، ثم عني الباحثون بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه، أمثال جميل جير بيروت سنة 1959م في مجلد واحد، وفوزي عطوي في ثلاث مجلدات عن دار صعب بيروت عام 1968م وهارون في أربعة أجزاء بمجلدات عن لجنة التأليف والترجمة عام 1949م، ودار الجيل 1980م، هذا إلى جانب طبعات أخرى كثيرة مغلفة من المحقق مثل طبعة دار الفكر للجميع في ثلاثة مجلدات، عام 1968 وغيرها"[1] فكثرة هذه الطبعات والتحقيقات تدل دليلا واضحا على مدى أهمية هذا الكتاب وقيمته العلمية وكذلك شهرته بين أوساط الباحثين.

"فلقد استفرغ الجاحظ في كتابه البيان والتبيين بياض نهاراته وسواد لياليه حتى جاء مرآة صادقة تعكس ثقافته الواسعة المحيطة بألوان العلم والأدب والفلسفة جميعا، ولاسيما في النقد الأدبي الّذي يعتبر من رواسي أصول الكتابة المتقنة، نثرا وشعرا"[2]وعلى اعتبار البيان والتّبيين آخر مؤلفات الجاحظ ندرك ماله من قيمة نوعية مميزة عن سائر مؤلفاته الأخرى، فهو حصاد عمر طويل، قضاه في البحث والتصنيف، وهو ثمرة اجتهاد وسعى كبيرين، وحصيلة تجاربٍ فكرية وثقافية خاضها الجاحظ في حياته.

---

([1]) عزّت السيد أحمد، فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2005م، ص 30.

([2]) فوزي عطوي، الجاحظ دائرة معارف عصره، ص 61.

**1-3- أجزاؤه:**

يهتم الجاحظ بالخطابة والبيان، ولهذا فهو يخص الحصر والعيّ وألوان الدلالات بحديث يزيّنه بآية قرآنية كريمة حينًا، وحينًا آخر بحديثٍ نبويّ شريف أو بيتٍ شعري مناسب.

بعد فاتحته، يذكر الجاحظ ما جاء في تقليب واصل بن عطاء بالغزل، ثم الحروف الّتي تدخلها اللثغة، ويردف ذلك ببابٍ للبيان، وبابٍ آخر يذكر فيه البلغاء والخطباء والأنبياء والفقهاء والأمراء، بعد ذلك يوضّح معنى البلاغة، ويثبت ما جاء من مديح للّسان بالشعر المنظوم واللّفظ المنثور، ثم يتحدث عن الصمت وملتقطات كلام النسّاك، وحسن البيان، والشّعر الّذي يدخل في باب الخطب وما قيل في الخطب واللّسن من امتداح ومديح ويتحدث كذلك عن إعابة العيّ والحمق من المعلمين، والتشادق والإغراق في القول، ويثبت بابا من الخطب القصار، وما قالوا في الحديث الحسن الموجز، والإسجاع في الكلام، ويتكلم عن خطباء البصرة، ويثبت خطبة من خطب النّبي صلّى الله عليه وسلم، ويورد أسماء الخطباء والبلغاء وأنسابهم وأسماء الكهّان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان، ويذكر النّساك والزّهاد من أهل البيان، والقصاص وما قيل في المخاطر والعصي ويُنهي الجاحظ هذا الجزء بعنوان « أثر السّيف يمحو الكلام».

*** مضمون الجزء الثاني:**

تضمن أبوابا في الخطب والكتب والرسائل والوصايا العَشر وغير ذلك من الأغراض.

*** مضمون الجزء الثالث:**

يستهل الجاحظ هذا الجزء بكتاب العصا، بعدئذٍ يذكر العيوب الّتي تمنع من السؤود، كما يبيّن أن قريشاً أفصح العرب، ويورد مقطعات من نوادر العرب وأشعارهم وما قيل في الخمر، كما تطرّق إلى سياسة بني عباس وأدبهم، ووصف المأمون لصنوف العلم ومن ثم ينتقل إلى الكلام على آداب الملوك

وتأويل الحديث، وتفضيل الشعر، وخطبة شداد بن أوس، كما تكلم عن مقامات الشعر في الجاهلية والإسلام وكتاب من عبد الملك إلى عمرو بن سعيد الأشدق وردّ عمرو عليه، وغيرها من الموضوعات التيّ لا ترابطَ بينها ولا تسلسل إنّما تناسق في أسلوب استطرادي فوضوي ولكنّه لا يخلو من الجدّة والفائدة الأدبية العلميّة المنشودة.

**2-3 مكانة كتاب البيان والتّبيين وأثره:**

يعدّ كتاب البيان والتبيين واحدا من أبرز كتب اللّغة العربيّة في طور نشأتها إن لم يكن أعظمها وأكثرها فائدة وتأثيرا، نظرا لأثره الواضح في مؤلفات البلاغيين حيث يقول فيه الجاحظ: « لعلّ من نافلة الكلام أن أردّد القول في عظيم أثر هذا الكتاب ويمكنني أن أقول في ثقةٍ: إنّه ليس يوجد أديب نابه في العربية لم يسمع بهذا الكتاب أو لم يفد منه، وقلّما نجد أدبيا من المحدثين لم يتمرّس بما فيه من أدب، كما كان من هذا الكتاب مادة غزيرة استمدها كبار المؤلفين القدماء في مؤلّفاتهم كابن قتيبة في عيون الأخبار والمبرّد في الكامل (...) وعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وأسامة بن منقذ في لُباب الآداب»[1] . فالجاحظ في قوله هو على ثقة من فائدة كتابه وعظيم شأنه بين بقية المؤلفات قبل وبعده، كما ذكر بعض المؤلفات التيّ استمدت مادّتها من مؤلَّفه الشهير.

كما لم يغفل المؤلفون عن التّنديد بمكانة هذا الكتاب وقيمته المرموقة، فهاهو أبو هلال العسكري يقول: «كان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن الجاحظ، وهو لعمري كثير الفوائد، جمّ المنافع لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة، والفِقر اللّطيفة، والخطب الرائعة والأخبار البارعة، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء، وما نبَّه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك فنونه المختارة

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص14،15.

ولغته المستحسنة»[1] وفضلا عن كلّ هذا يتبين أنّ هذا الكتاب مصنّف في علم البلاغة ومصدر هام من مصادر التاريخ الأدبي العربيّ نظرا لما تضمنّه من أخبار الشعراء والكتّاب العرب حيث أنّه لم يقتصر على فنّ محدد بل تفرّعت فنونه وتنوعت وتشعبت، « فكتاب البيان والتّبيين يعدّ من أهمّ ما أُلِّف في هذا الطور من تاريخ البلاغة من كتب تتصل ببلاغات العرب شعرا ونثرا، وتتعرض لتحديد البلاغة والبيان وما حولها من آراء ذائعة في عصر الجاحظ، فقد حوى كثيرا من بحوث البيان وأصوله، كما يعتبر الأساس الأول لنشأة هذا العلم وتميّزه واستقلاله »[2]، وعليه يعتبر كتاب البيان والتبيين أصلا ومصدرا هاما نهلت منه مختلف المؤلفات بعده، فعند الإطّلاع على الكتب التي جاءت بعد الجاحظ يظهر فيها التأثير الواضح بما ينثره في الكتاب من مقاييس بلاغية، وذلك من خلال الاستفادة من علمه والنّسج على منواله.

---

([1]) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2008م، ص10.

([2]) ينظر: السيّد عبد ربّه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص269.

**المبحث الثالث: المصطلحات البلاغيّة قبل الجاحظ**

إنّ الباحث حينما يلتمس البذور الأولى للبلاغة قبل عهد التّدوين والتأليف يلاحظ أنّ العرب عرفوا كثيرا من الأحكام النّقديّة التي أعانتهم على تذوق الشّعر وتوهمه وهذا النّقد الذي كان يوجّهه النقاد والشعراء والخطباء ساهم في تطور الأشعار والخطب وزيادة جودتها حيث «وصف القرآن الكريم في مواضع عدّة بأنّ العرب أصحاب البيان، مثلا في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ الرّحمن 4 »[1] ومعنى هذا أنّ العرب هم أول من عرفوا البيان ودليل ذلك ما ورد في آيات الذّكر الحكيم التّي تبين ذلك،« وقد تكون المصطلحات البلاغية في ذلك العصر– العصر الجاهلي– لكنّ الفنون البلاغية التي وردت في الشعر تشهد أنّ العرب كانوا يعرفون الأساليب المختلفة والصوّر المتعدّدة التي تزيد كلامهم جمالا»[2]

**1– البلاغة:** إنّ مصطلح البلاغة من المصطلحات التي لقيت اهتماما كبيرا منذ القدم، فقد اعتنى بها العرب وذلك لعلاقتها الوطيدة بأساليب الكلام، وقد وردت بعض التعريفات في كتاب البيان والتبيّن للجاحظ لمصطلح البلاغة قبله، « كقول المقفّع: لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك»[3]، وقول بشر بن المعتمر– وهو أحد بلغاء المعتزلة « والمعنى ليس يشرف أن يكون من معاني الخاصّة، وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة، وإنَّما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكلٍّ من المقال»[4]. ما يمكن استنتاجه من هذين القولين أنّ البلاغة

---

([1]) أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، دار الحريّة للطباعة، بغداد، دط،، 1982م ص10.

([2]) المرجع نفسه، ص11.

([3]) الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1،ص116.

([4]) المصدر نفسه، ج1، ص136.

عندهم كانت لا تخرج عن إصابة المعنى بوضوح وسلامة بلفظ يناسب المعنى الذي يرمي إليه، مع إحراز الفائدة من ورائه، بالإضافة إلى موافقة الحال التي يقال فيها.

فالبلاغة في نظر البلغاء ليست مستقلة عن اللغة وإنما تلعب دورا مهما في تحديد وظيفة اللغة التي تتمثل في التعبير والإبلاغ، وهذا يدل على أن البلاغ جزء لا يتجزأ من اللغة، لأنّ كلاهما يعتمدان على اللفظ والمعنى.

« كانت البلاغة تعني أولا الوصول والانتهاء، وثانيا الفصاحة وحسن القول، وقد جاءت في القرآن الكريم بهذين المعنيين، فمن الأول قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ القصص-14-، هذا هو الوصول والانتهاء، أما المعنى الثاني فقوله تعالى:﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ النساء-63-»[1]فالبلاغة كانت تعني معنيين:

تمثل المعنى الأول في الوصول والانتهاء أمّا الثّاني فتمثل في الفصاحة، فهذا يعني أنهم جعلوا البلاغة مرادفة للفصاحة،« البلاغة: الفصاحة؛ وأكثر ما كانت تستعمل هذه الكلمة ومشتقاتها في الدلالة على فصاحة الكلام، فيقولون: كلام فصيح، وكلام بليغ إذا استوفى الشروط التي ذكرها علماء البلاغة فيما بعد، وكلمة فصيحة إذا سلمت من الثقل في النطق والغرابة في الاستعمال ومخالفة قواعد التصريف وتِبع هذا يُقال متكلمٌ بليغ أو فصيح، إذا أتى بالكلام الجامع لتلك الخصال الحميدة»[2]

---

[1] أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، ص 05.

[2] أحمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، مكتبة ومطبعة مصطفى الباجي الصابي وأولاده ط1، 1952م، ص 09.

**2-علم المعاني:**

علم المعاني من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، وتعريف وتنكير، أو فصل ووصل، أو إيجاز وإطناب ومساواة فالقدماء لم يعرفوها كما هي اليوم، ومن أبرزهم سيبويه الّذي تكلم على مسألة النحو ومالها من أثر في معنى الجملة، « إنَّ سيبويه وأضرابه أرادوا بالنحو السبيل الذي سلكته العرب في التعبير عن أغراضها ومقاصدها، ويشمل شيئين:

1. تأليف الجمل، وبيان ما يجب أن تكون عليه الجملة وحدها، أو الجملة مع الجمل التي تؤدّي الأغراض التي تختلج صدور المتكلمين.
2. ضبط أواخر الكلمات التي تتألف منها تلك الجملة أو الجمل.

ذلك لأنَّ لكلِّ كلمة وحدها معنىً خاصًّا تكفلت اللُّغة بشرحه وبيانه، وللكلمات في التركيب معنى خاص، هو صورة لما يقوم بالأنفس مع المعاني نريد إفهامها للمخاطَبين...»[1]

فسيبويه لم يذكر هذا المصطلح-المعاني-باللَّفظ الصريح وإنما تطرق لفهم المعنى، فهو يحتوي على قوانين خاصة تجري كل لغة على سننه، فلا تفهم العبارة حتى تجريَّ على نهجه.

وهكذا يتبين الدور البارز الذي يلعبه النّحو في الكشف عن المعاني وتصويبها.

«ليس في كتب البلاغة إشارة إلى هذا العلم، وليس هنالك أحد استعمله قبل السَّكاكي بمعناه المعروف، وكان من الأوائل الذين يستعملون مصطلح المعاني، في دراساتهم القرآنية والشعرية فيقولون معاني القرآن أو معاني الشعر ويتخذون من ذلك أسماءً لكتبهم»[2]، كما كان لنظرية النظم أثر كبير في ظهور هذا اللون من الدراسات فقد جاء في معجم المصطلحات لأحمد مطلوب: « وكان لنظرية النظم أثر

---

[1] أحمد مصطفى المراغي،تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ص 44.

[2] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية،ج3 ،مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1982م ، ص 277.

كبير في ظهور هذا اللون من الدراسات وللنحاة العرب يد طولي في دراسة الكلام وتحليله والوقوف على الجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير أو ذكر وحذف، ولعلَّ سيبويه كان من أقدم الذين وقفوا عند هذه الجوانب ودرسها بعمق من فصول كتابه المشهور، ولكن سيبويه والنحاة لم يسموا هذه البحوث نظما وإنَّما هي قواعد تسير عليها العرب في كلامها أو إنشائها»[1]

ومعنى هذا أنّ لنظرية النظم دور في ظهور علم المعاني كما أن للغويين دور وخاصة سيبويه من باب دراسته للقواعد وأسس الجملة العربية وما يمكن استنتاجه أن مصطلح المعاني ارتبط قديما بعلم النّحو وماله من أثر في تحسين المعنى والكشف عليه، إضافة إلى نظرية النظم، كما يظهر لنا أن العلماء لم يطلقوا عليها اسم نظم، وإنما عدوها أسسا تسير وفقها العرب في كلامها.

**3-البيان:**

من أقدم المصطلحات البلاغيَّة وأهمها، كان له نصيب في القرآن الكريم، ففيه نجد إشارات كثيرة للبيان، منها قوله تعالى:﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ آل عمران 138، وقوله تعالى أيضا في سورة الرحمن الآية 1-4: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾، كلّ ذلك إشارات إلى أهميّة البيان وكذا إشارة إلى أنّ الله تعالى وهب الإنسان البيان، وعلمه إياه، وإشارة أيضا إلى أنّ العرب أصحاب بيان.

ذكر الجاحظ تعريفا للبيان وكان من أقدم ما دوّن، حيث قال:« قال ثمامة: قلت لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك وتخرجه عن الشّركة ولا تستعين عليه

[1] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ج3، ص 277.

من التّعقيد، غنيّا من التأويل. وهذا هو تأويل قول الأصمعي: البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المُفسِّر »[1].

البيان يعني عند القدماء مناسبة اللَّفظ للمعنى الذي يرمي إليه، أي أن يعبر عن معناه، وأن يكون سليما بعيدا عن التكلف والصَّنعة وخاليا من التعقيد الذي قد يُخرجه من دائرة البيان.

**4- المجاز:**

تحدَّث البلاغيون والنقاد عن هذا الفنّ في كتبهم وقد سمَّى البعض كتبهم بهذا الاسم ومن بين الكتب كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة والذي عالج فيه كيفية التَّوصل إلى المعاني القرآنية وليس كما هو اليوم عكس الحقيقة، وإنَّما عنى بمجاز الآية الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته، فعن أبي عبيدة معمَّر بن المُثنى التيْمي قال:" القرآن: اسم كتاب الله خاصة، ولا يسمى به شيء من سائر الكتب غيره وإنّما سمي قرآنا لأنَّه يجمع السُور فيضمها، وتفسير ذلك في آية من القرآن، قال الله جلّ ثناؤه:﴿ إن علينا جمعه وقرآنه﴾ مجازه: تأليف بعضه إلى بعض"[2].

إضافة إلى أبي عبيدة نجد الفرّاء في كتابه القرآن حيث سمّاه الإجازة « فقال بعد قوله تعالى:﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ ﴾ اللَّيل10، فهل في العسرى تيسير؟ فيقال : في هذه إجازة بمنزلة قول الله تبارك وتعالى:﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ ﴾ التوبة 03، والبشارة الأصل على المفرح والسار، فإذا اجتمعت في كلامين: هذا خير، وهذا شرٌ، جاز التَّيسير فيها جميعا »[3] يُعد أبو عبيدة من الأوائل الذين استعملوا لفظة مجاز إلا أنَّه لم يستعملها بمعناها الذي هو اليوم وإنما استعملها بمعنى ما يُعبَّر به عن الآية.

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص106.

[2] أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، ج 1، تح: محمد فؤاد، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 5-6.

[3] الفرّاء، معاني القرآن، ج3، بيروت، ط3، 1983، ص 280-281.

**5- الكناية:**

من أقدم المصطلحات البلاغيَّة، تطرق إليها أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن فهو من أقدم اللَّذين عرضوا للكناية، وهي عنده «ما فهم من الكلام ومن السياق من غير أن يُذكر اسمه صريحا في العبارة فهي تستعمل قريبة من المعنى البلاغي كما في قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ البقرة 223. كناية وتشبيه، ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ النساء 43 كناية عن الغشيان»[1].

فأبو عبيدة استعمل الكناية بمعناها ولفظها المتداولين اليوم، فهي ما يفهم من السياق دون ذكر الاسم صريحا، فالمعنى يكون خفيًا غير ظاهر أي تكون الكناية بمعنى الضمير.

**6- الاستعارة:**

ظهر مصطلح الاستعارة في أشعار العرب خاصة، وذلك كقول النابغة الذبياني[2]:

وصدرٌ أراح الليل عازب أهله تضاعف فيه الحزن من كل جانب.

وهذا مستعار من أراحة الراعي الإبل إلى الموضع التي تأوي إليه.

هذا دليل على أن كلام العرب وأشعارهم خاصة كانت تضج بالصور البيانية التي كانوا يستعملونها قصد التأثير في السامع وكي تزيد كلامهم جمالا، وذلك دون أن يعرفوا قواعد سيرها ووقعها.

كما جاء في كتاب معاني القرآن للفراء:«قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ الأعراف 154 والغضب لا يسكت وإنما يسكت صاحبه، وإنما معناه: سكن»[3]. ففي قوله استعارة مكنية

---

[1] أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، ج 1، ص 155.

[2] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ج3، ص 12.

[3] الفراء، معاني القرآن، ج3، بيروت، ط3، 1983، ص 156.

ذكر فيها المشبه الغضب وحذف المشبّه به الإنسان وذكر أحد لوازمه (سكن) التي هي من صفات الإنسان فالاستعارة استعملت قديما بالمعنى المعروف اليوم.

ومن الطباق قول امرئ القيس:[1]

"مكرّ مفرّ مقبل مدير معا كجمود صخر حطّه السيل من علّ."

والطباق يظهر في كلمتي: مكرّ# مفرّ، مقبل # مدبر.

ومن التشبيه كذلك قول امرئ القيس:[2]

"وليل كموج البحر أرخى سدولَه عليّ بأنواع الهموم ليبتلي."

[1] أحمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ص 12

[2] المرجع نفسه، ص 12.

# الفصل الثانـي

## المصطلحات البلاغية عند الجاحظ "البيان والتبيين"

**المبحث الأول: المصطلحات البلاغية العامة**

**المبحث الثاني: المصطلحات البلاغية الخاصة**

كان أبو عثمان عقليّة فذّة ، فلم يترك مجالا إلا وكتب فيه ، فكان شاعرا وناقدا وفيلسوفا، كان كتابه البيان والتبيين سجلا حافلا بالجهد البلاغي الكبير حيث يبرز لنا هذا الكتاب الدور الرائد الذي قام به في بناء صرح علم البلاغة العربية، فقد وضع هذا الجهد في إطار منظم حسب ما استقرّ عليه الدرس البلاغي، حيث جمع كلّ المسائل فيما يتعلق بعلم المعاني والبيان والبديع، هذا على الرّ غم من إجماع الكاتبين على أنّ المقاييس البلاغية جاءت متناثرة في كتاب الجاحظ وأنّه ليس من السهل جمعها والوقوف عليها.

حيث قدّم الجاحظ من خلال كتابه هذا درسا بلاغيّا يقوم على فكر واع وذوق ناضج، والمتصفح لهذا الكتاب يلاحظ غلبة اللون البلاغي على بقية المسائل التي أثيرت في الكتاب، وفي وسط هذا الكم الهائل من المعارف، اخترنا من الكتاب الجانب الذي كبّ الجاحظ اهتمامه عليه، ألا وهو المصطلحات البلاغية التي انتشرت في كتابه.

**المبحث الأول: المصطلحات العامّة ومفاهيمها عند الجاحظ.**

**1- البلاغة:**

تعد البلاغة أحد علوم اللّغة العربيّة، وتعني إدراك الغاية والوصول إلى النّهاية، يتمكّن المتكلّم من التأثير في المتلّقي سواء أكان سامعا أم قارئا، فالإنسان حينما يمتلك البلاغة يستطيع إيصال المعنى إلى المستمع بإيجاز كما يؤثر فيه .

والبلاغة من أهم العلوم الّتي لقيت اهتماما وعناية من طرف العلماء القدماء والمحدثين، تعدّ من أقدم العلوم وأعرقها، ومن بين هؤلاء العلماء القدماء " الجاحظ" الّذي جمع تعريفاتها من أفواه العلماء قبله وخصّص لها بابا في كتاب البيان والتّبيين جمع مجموعة من التّعريفات تحدّد البلاغة وتشرحها.

**1-1 تعريفات البلاغة في البيان والتّبيين وتعدادها حسب الثقافات:**

عند قراءة البيان والتّبيين نجد أن الجاحظ ذكر مجموعة من التعريفات تحدّد البلاغة منها:

قول الفارسي: « معرفة الفصل من الوصل» [1] وقول الرّومي :« حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة» [2] كانت هذه بعض من التعريفات التي نقلها الجاحظ للبلاغة على مختلف الثقافات إلّا أنّ الجاحظ استحسن هذا التّعريف: « وقال بعضهم وهو أحسن ما اجتبيناه ودوّناه لا يكون الكلام يستحقّ اسم البلاغة حتّى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك "[3]

---

([1]) الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1،ص88.

([2]) المصدر نفسه، ج1، ص88 .

([3]) المصدر نفسه ،ج1 ، ص115.

فالبلاغة عند الجاحظ تكمن في جودة اللّفظ وحسنه مع التماس المعاني الشريفة، وهذا التكامل بين اللّفظ والمعنى يجعل الكلام بليغا وبالتّالي يؤثر في المتلقي ويرضيه، وهذه غاية كلّ خطيب متكلّم.

أيضا فيما يتعلق بقضية اللّفظ والمعنى ودورهما في بلاغة الكلام، والّتي يعتبرها الجاحظ أصلا من أصول البلاغة العربية، وخرج الجاحظ بنتيجة وهي تناسب الألفاظ مع الأغراض، أو كما هو معروف مطابقة الكلام لمقتضى الحال، لكل مقام مقال.

**1-2 البلاغة هي معرفة أقدار المعاني:**

حيث يقول في هذا :« ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكّل طبقة في ذلك كلاما، ولكّل حالة من ذلك مقاما، حتّى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات »[1] وهذا ما يسمّى بمراعاة المقام، فعلى المتكلّم أن يختار الألفاظ والمعاني المناسبة لذلك المقام الذي هو فيه، ويجعل لكلّ طبقة كلاما خاصا بها فلا يُخَاطَب الجاهل بنفس خطاب العالم، ولا يُخاطَب الصّبي بنفس خطاب الكبير،فإعطاء لكلّ مقام حقّه، ووضع الكلام موضعه، ومراعاة الأحوال والمناسبات أمر مهمّ تقوم عليه البلاغة، ولا تتحقّق بدونه. « ومعلوم أن الكلام لا يتسابق لفظه ومعناه إلى القلب حتّى يقع موقعه، ويصادف الحال التي تناسبه»[2]، وهذا ما عناه الجاحظ بقوله : « لا يكون الكلام يستحقّ اسم البلاغة حتّى يسابق معناه إلى قلبك »[3] فمطابقة الكلام المقتضى الحال عنصر مهم عند الجاحظ وعليه تقوم بلاغة الكلام . حيث جعلها شرطا من شروط بلاغة الكلام .

---

([1])- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص139،138.

([2])- السّيد عبد ربّه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص170.

([3]) الجاحظ البيان والتبيين115، ج1، ص..

**1-3- البلاغة اجتماع آلة البيان:**

تظهر أيضا في قول الجاحظ فيما نقله عن الأشعث ممّا وجد مكتوبا في صحيفة الهند: « أوّل البلاغة اجتماع آلة البيان، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متّخّير اللفظ، متّخير اللّفظ، لا يكلّم سيّد الأمّة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة. ويكون في قواه فضل التّصرّف في كل طبقة (..) ولا يفعل ذلك حتّى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما»[1]

عند التأمّل في هذه الصّحيفة يتّضح لنا أنّ البلاغة تعني المطابقة، فلا يكلم الأديب سيّد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، فلكلّ طبقة من النّاس كلامها المناسب، والآلة هي « مالا وجود ولا تمام للبيان ، أو ما معناه من بلاغة وغيرها إلا بوجوده وتمامه، ويلزم من نقصانه، بدنيا كان ذلك الشيء أم نفسيا، ومقاليًّا كان أم مقاميّا»[2]، فالمقصود بآلة البلاغة ما يلزم وينبغي ليكون الشخص بليغا ولكي يكون الشّخص بليغا يجب أن تكون آلة بيانه تامّة غير ناقصّة، كأن يسلم جهازه النطقي من أي عيب، أما النّقص النّفسي فيكمن في الخوف ونقص الشجاعة، وكل هذه الشروط من مستلزمات الفصاحة وعلى هذا نستنتج أنّ الجاحظ جعل الفصاحة جزءا من البلاغة عند ما قال أن أوّل البلاغة اجتماع آلة البيان.

---

([1]) الجاحظ ن البيان والتبيين، ج1، ص92.

([2]) الشاهد البوشيخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في البيان والتّبيين ، دار القلم للنشر والتوزيع، ط2،1995م، ص101

**1-4- البلاغة وعلاقتها باللفظ والمعنى:**

تحدّث الجاحظ عن قضيّة اللّفظ في جوانب مختلفة قرّر فيها أن « أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه(...) فإذا كان المعنى شريفا واللّفظ بليغا، وكان صحيح الطّبع بعيدا عن الاستكراه ومتزّنا عن الاختلال مصونا عن التّكلف، صنع في القلوب صنع في التربة الكريمة»[1].

فقول الجاحظ هنا يبين أنه يجعل البلاغة في اللفظ والمعنى معا ويذكر بعض الشروط التي تجعل الكلام بليغا منها شرف المعنى وأنّ يكون اللّفظ غير مستكره وغير متكلّف.

والبلاغة عنده هي المزاوجة بين اللّفظ والمعنى، المتمثلة في نظم الألفاظ « وقناعته بأنّ البلاغة هي في النّظم، دعته إلى كتاب أسماه نظم القرآن أوضح فيه نظرياته القائلة بأنّ إعجاز القرآن هو في نظمه وتأليفه»[2]

وما يمكن استنتاجه من هذه الأقوال أنّ الجاحظ لم يضع حدا من البلاغة والفصاحة، حيث وجدناه في مواضيع كثيرة من كتابه البيان والتّبيين يجريهما بمعنى واحد.

---

([1]) الجاحظ، البيان والتّبيين ن،ج1، ص83 .

([2]) محمد علي زكي صبّاغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتّبيين، المكتبة العصرية ،بيروت ،ط1 1998، ص115.

**2-الفصاحة:**

تعدّ الفصاحة من أبرز المباحث التي تناولها البلاغيون في كتبهم، كونها تتعلق بالكلام ومدى تأثيره على المتلقي « وقد وردت لفظة الفصاحة في كتاب الله عزّ جل وحديث الرّسول العظيم لا تخرج عن معناها اللغوي وهو الظّهور والبيان وحينما دخلت هذه اللّفظة في الدراسة البلاغية والنقدية ارتبطت بلفظة البلاغة وأصبح البلاّغيون لا يفرّقون بينهما في المرحلة الأولى من التأليف »[1]، يتبيّن أنه في المراحل الأولى كانت البلاغة والفصاحة بمعنى واحد فكلاهما تدلان على الظهور والبيان.

فالحديث عن الفصاحة جاء في كتاب البيان والتّبيين متناثرا فهو يقدّم كلمات مرادفة للفصاحة والوضوح في الكلام، « فالجاحظ لم يضع حدا واضحا بينهما وإنماّ أجراها بمعنى واحد في مواضع كثيرة من كتابه »[2]. ومعنى هذا أنّ الجاحظ لم يضع لها تعريفا خاصا وإنماّ تطرق إليها في حديثه عن البلاغة كونه يدرس المصطلحات البلاغية.

**2-1 عيوب فصاحة المفرد:**

تعدّ الأساس في كلّ كلام فصيح، فهي تعتبر المعيار الذي يعرفُ به فصيح الكلام من رديئه لذلك لقيت اهتماما من البلاّغيين ومن بينهم الجاحظ فهو يرى « أنّ اللّفظ يعد بمثابة اللّبنة الّتي يقام عليها البناء، وعلى قدر ما يكون فيها حسن يكون البناء حسنا رائقا، وإذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها قدر ما فيها من الحُسن »[3] معنى هذا أن المتكلم يجب عليه أن يدقق في الكلمة ويختارها فتكون بذلك حسنة ملائمة للمعنى المراد إيصاله، وهو حين يعرض للفصاحة فإنها خلوص الكلام من العيوب التّي

---

([1]) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية.،ص110

([2]) المرجع نفسه، ص110.

([3]) ينظر، الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، ص203.

تخرجه عن دائرة الكلام الحَسن، ولا نكاد نجده يذكر البلاغة مقترنة بالألفاظ المفردة، بينما نجده يدير الحديث عن الفصاحة في حديثه عن الكلمات المفردة والألفاظ المجرّدة. ومن شروط فصاحة الكلمة حسب الجاحظ ما يلي:

**2-1-1 – غرابة الكلمة:** من أهم العيوب التيّ من شأنها أن تلحق الكلمة المفردة إذا كانت وحشية غريبة، ومعناها غامضا لا يفهم إلاّ بالعودة إلى الشروح، فقد تطرّق الجاحظ في كتابه إلى الكلام الوحشيّ في قوله: « أمّا أنا فلم أر قطّ أمثل طريقة في البلاغة من الكتّاب، فإنّهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعّرا وحشيًا »[1] ومعنى هذا أنّ الجاحظ يعدُّ اللّفظ الغريب وعرا خشنا يصعب على السامع معرفة مراده بسهولة . فقد سُمي وعرا لصعوبة الوصول إلى شرحه، وسمّي وحشيا لأن النفوس تنفر منه كما تنفر من الوحش.

ورد قول للجاحظ أيضا « وكما لا ينبغي أن يكون اللّفظ عامّيا، وساقطا سوقيا فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإن الوحشيّ من الكلام يفهمه الوحشي من الناس(،.) وكلام النّاس في طبقات كما أنّ الناس أنفسَهم طبقات »[2]. ما يمكن أن نستنتجه هو أن الكلام طبقات كما هم الناس طبقات والوحشي طبقة كما هو السوقي طبقة، فمن طبقات الكلام الوحشيُّ والسوقيُّ والعاميُّ إلى غير ذلك من طبقات الكلام التي توافق وتتناسب مع طبقات النّاس العالم والجاهل والأمّي... الخ.

---

([1]) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، 137.

([2]) المصدر نفسه، ج 1، ص144.

**2-1-2- تنافر الحروف:**

بالإضافة إلى العيب الذي يطرأ على الكلمة هناك عيب آخر هو تنافر الحروف، ومعناه صعوبة نطقها على اللّسان، ثقيلة على الآذان ويظهر ذلك من خلال ما ورد في البيان والتبيين: « اللفظ ينبغي أن يكون خفيفا على اللسان سهلا وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه »[1] , فالتنافر في حروفها – الكلمة– معناه وجوب عسر النّطق بها نَحو :" مستشزرات في القول الذي ورد في كتاب الجاحظ قول امرئ القيس :

غذائره مستشزرات إلى العلى تظلّ المداري في مثنى ومرسل

مستشزرات: أي مرفوعات" [2]

ومنه نستنتج أنّ عدم فصاحة الكلمة يكمن في صعوبة نطقها وذلك لتقارب مخارج حروفها . فعندما تقاربت مخارج حروف الكلمة صعب نطقها بسهولة وبذلك بطلت فصاحتها وألحقت ضمن الكلمات غير الفصيحة.

تطرق الجاحظ أيضا إلى قضية اقتران الحروف بعضها ببعض في الكلمة فقد صرّح بذلك في قوله : "فإماّ اقتران الحرف فأن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين (...) بتقديم ولا بتأخير وهذا باب كبير، وقد يكتفي بذكر القليل حتّى يستدل به على الغاية التّي إليها يُجرى"[3]

---

([1]) الجاحظ ، البيان والتّبيين، ج1، ص 136

([2]) محمد علي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، ص137، 138

([3]) فوزي السيد عبد ربّه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص157

**2-1-3- مخالفة القياس:**

وهو من العيوب التّي تُخِّل بالفصاحة وتعني مخالفةْ ما اعتادت عليه العرب في الاستعمال، وقد تفطن الجاحظ إلى هذا العيب ونبّه إليه وعدَّ الكلمة إذا جاءت مخالفة لما ورد عن العرب عدّت ساقطة بسبب هذه المخالفة وخرجت عن الفصاحة ودخلت في دائرة العيب، فمن شروط فصاحة الكلمة أيضا أن تكون غير مخالفة لكلام العرب من خلال المقياس الصّرفي والنّحوي، وخروجها عن هذا المقياس يعدّ دخولها في دائرة العيب.

**2-2 عيوب فصاحة الكلام:**

تعني فصاحة الكلام خلوصه من كلّ ما يعيبه وسلامته من الأخطاء التركيبية التي تخرجه عن دائرة الحسن، وتطرّق الجاحظ إلى هذه العيوب في كتابه ومن بينها:

**2-2-1 تنافر الكلمات:** وهي من العيوب التي تخلّ بفصاحة الكلام، فقد أوضح الجاحظ عن رأيه في هذا العيب في قوله: « إذا كان الشعر مستكرها، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينهما من التنافر ما بين أولاد العلاّت، وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جانب أختها مرضيّا موافقا، كان على اللّسان عنه إنشاء ذلك الشعر مؤونة»[1] .

فالجاحظ يبيّن في قوله هذا معنى تنافر الكلمات كتنافر كلمات الشعر فيرى أنّ تنافرها يجعل الكلام مستكرها مذموما لدى السّامع والقارئ، فتنافر الألفاظ يجعل الكلام ثقيلا يصعب على القارئ النّطق بها متجاورة.

---

([1]) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص66، 67.

ورد في كتاب الجاحظ شرحا لأولاد العلات في قوله[1]:

"وبعض قريض القوم أولاد علّة يكدّ لسان النّطق المتحفظ"

من خلال هذا البيت الشعري نجد الجاحظ يشبه تنافر كلمات بعض القوم بأولاد العلة وكأنّها بنو رجل واحد من أمهات شتى، فتنافرها يجهد لسان الناطق . كما نجده لا يكتفي بهذا التّحديد والتوضيح بل يعتمد على مجموعة من الأشعار يسوق الشاهد والمثال ويبيّن العيب الذي يطرأ على الكلمات والّذي جعلها فصيحة في أنظار السّامعين وأصحاب الذّوق، إذ يورد قوله حول تنافر الألفاظ :« من ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه. فمن ذلك قول الشاعر:

وقَبرُ حَربٍ بمكانٍ قَفرٍ وليس قُربَ قبرِ حربٍ قبرُ

ولمّا رأى مَن لا علم له أنّ أحدا لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث في نسق واحد فلا يتعتع ولا يتلجلج، وقيل لهم إنّ ذلك إنما اعتراه إذا كان من أشعار الجنّ، صدّقوا بذلك"[2] ومن هذا فإنّ تنافر الألفاظ يعد عيبا من عيوب الفصاحة لما فيه من صعوبات في نطق ألفاظ متجاورة متتالية، "ومن ذلك قول ابن يسير في أحمد بن يوسف حين استبطأه :

هل معينُ على البكاء والعَويلِ أم معزٌ على المصابِ الجليلِ

ثم قال:

لم يضرهَا والحمد لله شيء وانثنت نحو عرف نفس ذهولِ

---

([1]) الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج1 ، ص66.

([2]) المصدر نفسه ، ج1، ص65.

فعندَ تفقُد النصف الأخير من هذا البيت فإنك تجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض"[1] ومعنى هذا أنّ البيت الشعري الواحد نجد الألفاظ غير متلاحمة ومتماسكة كأنها تنطق كل لفظة على حدةٍ، فتجد اللفظة الواحدة تتبرأ وتبتعد عن أختها.

**2-2-2 ضعف التأليف:** يعدّ عيبا من عيوب فصاحة الكلام، فهو يخل به ويمس بقواعد اللغة العربية ويؤدي بذلك إلى الإخلال بالضوابط النحوية التي تعد الأساس واللّبنة التي يقوم وعليها كلّ بناء، فالجاحظ لم يدرس هذا العيب وإنما تطرق إليه في حديثه عن اللّحن في قوله « زعم أصحابنا البصريون عن أبي عمرو وحديثه عن اللّحن في قوله: لم أرَ قرويين أفصح من الحسن والحجّاج، وكان- زعمو- لا يبرئهما من اللّحن»[2] . الأمثلة التي أوردها الجاحظ نذكر :" وحكى الكسائي أنّه قال لغلام بالبادية : من خلقك؟ وجزم القاف . فلم يدرِ ما قال، ولم يجبه، فردّ عليه السؤال فقال الغلام: لعلك تريد من خلقك "[3] ومن هذا فإنّ ضعف التأليف يؤدي إلى عدم فهم ما قصده المتلقي وبالضرورة يؤدي إلى عدم فهم السامع ما أراده منه .

**2-2-3 التعقيد:** وهو كذلك عيب من عيوب الفصاحة، ويكون في الكلام ويكون غير واضح الدلالة ويرجع ذلك إمّا لخلل وقع في لفظه وإمّا في معناه ويظهر ذلك من خلال قول الجاحظ:"وإياك والتوعر فإنّ التَّوعر يسلمك إلى التعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويثني ألفاظك. ومن أراغ معنًى كريما فليلتمس له لفظا كريما"[4] .ويشير هذا إلى ضرورة اختيار اللفظ المناسب فلا يجب أن يكون صعبا ذا دلالة غامضة.

---

([1]) الجاحظ ، البيان والتبيين، ج1 ، ص 65

([2]) المصدر نفسه، ج1، ص163

([3]) المصدر نفسه، ج 1، ص167

([4]) المصدر نفسه ،ج1، ص136

وفي الأخير فإن الفصاحة في الكلام حسب ما ذكرناه سابقا هو خلوصه من ضعف التأليف ويحصل هذا من كون الكلام حاويا على القواعد النحوية المشهورة، وخلوصه من تنافر الكلمات بأن لا يثقل مع السمع ولا على النطق وخلوصه من التعقيد وذلك بأنْ لا يضعف فهم المعنى.

**3- علم البيان:**

**3-1 تعريفه:** يعتبر كتاب " البيان والتبيين" للجاحظ من أهم الكتب خاصة في البلاغة العربيّة، كون هذا الكتاب جاء تمهيدا لنهوض هذا العلم وتطوّره، ومن أبرز القضايا التي تعرض لها الجاحظ في كتابه وعلى الرغم من أن " البيان" جاء في صلب عنوان إلا أنه عند تصفحنا لصفحات الكتاب لا تظهر لنا تعاريف المصطلحات البلاغية من بلاغة وفصاحة وبيان واضحة، بل نجد أنها مبثوثة في صفحاته ومنتشرة، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفّح الدّقيق.

ومن بين هذه المصطلحات البلاغية البيان ّالذي عرّفه الجاحظ بأنه" اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضّمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدّليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القارئ والسامع، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع »[1]

وعليه فالبيان عند الجاحظ هو كلّ ما كشف عن المعنى، كما هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي المستور، وأنّ الغاية التي يسعى إليها إنما هي الفهم والإفهام، ويمكن حصر معنى " البيان" في مفهومين:

---

([1])- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1 ص 76

* **المفهوم العام:** تشير لفظة " بيان" إلى التّعبير عن معنى من المعاني بلغة ليس بالضرورة هي لغة الكلام, لكنّها تتسع لتشمل أو تحيط بجميع وسائل التعبير الممكنة والمتاحة، ونسوق قول الجاحظ في تعريفه البيان كمفهوم عام قوله:" والدلالة الظّاهرة عن المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله تعالى يمدحه، ويدعو إليه ويحث عليه، وبذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم"[1]

* **المفهوم الخاص:** فغالبا ما يستعمل "الجاحظ " لفظة البيان للدلالة على بلاغة التعبير بلغة الكلام المقول أو المكتوب، فيصبح بهذا مرادفا للفظة بلاغة "فالبيان بالنسبة للمتكلّم هو قبل كل شيء تعبير المتكلم عمّا في صدره"[2]، " فالأحنف يقال أنه إذا تكلم جلي عن نفسه "[3] من أفكار وبهذا فالبيان يكون تعبير المتكلم عمّا في نفسه من أفكار وأحاسيس.

**3-2 أنواع الدلالات عند الجاحظ:** أمّا دلالات جمع دلالة فإنها تعني عند الجاحظ مختلف أنواع الإشارات المستعملة لإبراز مضمون الفكر، أي مختلف الوسائل التعبيرية الممكنة" وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللّفظ، ثم الإشارة، ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة "[4]

**3-2-1: اللفظ:** وهو من إحدى الدلالات الخمس على المعاني، كما تعتبر الخاصيّة الأساسية للإنسان التي تميزه، والمتمثلة في قدرته على الكلام والتعبير عمّا في نفسه عن طريق الألفاظ.

---

([1]) الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، ص75.

([2]) محمد صغير بناني، النّظريات اللّسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط ، 1994م، ص202.

([3]) الجاحظ، البيان والتبيّن، ج1، ص56 .

([4]) المصدر نفسه،ج1، ص76.

وفي قول الجاحظ « البيان بصر والعيّ عمى»[1] نجده يعتبر البيان باللّفظ كالبصر والعكس، فمن يعيبهم الكلام كأنهم عمي لا يبصرون، ونجده في موضع آخر يعتبر البيان من نتاج العلم كما يعدّه ترجمان العلم وعماده.

**3-2-2 الإشارة:** هي كذلك إحدى الدلالات الخمس على المعاني، عدّها الجاحظ من لغات البيان والتبيّن وأدواتها من أعضاء الجسم، كاليد والرأس والعين والحاجب والمنكب وغير ذلك من ممّا يستعين به المتكلّم ليعبّر عمّا في نفسه ومكنوناته، ويجعل الجاحظ الإشارة واللّفظ شريكان فهي مُعينة كاللّفظ مدعّية له، فكثيرا ما تنوب عن اللّفظ، كما يبرز أهميتها بين المتكلمين في قوله : « وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير، ومعونة حاضرة، في أمور يسيّرها بعض النّاس من بعض، و يخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب البتة»[2] ونقل الجاحظ قول الشاعر" في دلالات الإشارة[3]:

أشارتْ بطرفِ العين خيفةَ أهلهَا إشارة مذعورٍ ولم تتكلمِ

فأيقنتُ أنّ الطّرف قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيّم"

"وقال آخر:

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وفي النّاس من النّاس مقاييس و أشباه

---

([1]) الجاحظ، البيان والتبيين،ج1، ص77.

([2]) المصدر نفسه، ج1، ص78.

([3]) المصدر نفسه ،ج1 ، ص 78 .

وفي العين عنى للمر ء أن تنطق أفواهُ "[1]

وفي هذه الأبيات بيان عن أهميّة الإشارة، وأنّ المتكلّم في بعض المواقف ليس بحاجة إلى التّلفّظ فقد يستعين فقط بالإشارة تغنيه عن النّطق والكلام.

**3-2-3 الخط:** ويعني به كتابه الكلام وتدوينه، وقد ذكر الجاحظ بعضا من الآيات التي تتحدث عن فضيلة الخطّ قوله تعالى للرسول صلّى الله عليه وسلّم : ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ سورة العلق الآيات 3، 4، 5، إضافة إلى هذا فهو « أحد اللّسانيْن، والقلم أبقى أثرا، واللّسان أكثر هذرا[2].

في حين أنّ « اللّسان مقصور على القريب الحاضر، فإنّ القلم مطلق في الشاهد والغائب»[3]وفي حين أنّ اللّسان محدود لا يتعدّى سامعه مكان وزمان معينين، فإنّ «الكتاب يقرأ بكلّ مكان، ويدرس في كلّ زمان »[4]

**3-2-4 العقد:** وهو ضرب من الحساب، ونوع من البيان بالحساب، وكسابقتها يبين الجاحظ فضيلته في بعض آيات القرآن، نقل قوله عزّ وجلّ :﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾ سورة يونس الآية 05 .

(1) الجاحظ ،البيان والتبيين، ج1 ص79 .
(2) المصدر نفسه، ج1، ص79.
(3) المصدر نفسه،ج1، ص80.
(4) المصدر نفسه،ج1، ص80.

وينبّه الجاحظ إلى منافع الحساب الجليلة « ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدّنيا لما فهموا عن اللّه عزّ وجلّ معنى الحساب في الآخرة »[1] وأنّ « في عدم اللّفظ، وفساد الخطّ، والجهل بالعقد فساد جلّ النعم »[2] فالجاحظ يعدّ الحساب نعمة من النّعم الجليلة للإنسان فعدّ الجهل به فساد جلّ النعّم.

**3-2-5 النّصبة:** هي ما توحي به الأشياء لعقل النّاظر المتأمّل، فالجاحظ يعتبرها « الحال النّاطقة بغير اللّفظ، والمشيرة بغير اليد »[3]

**3-3 – أهمّية البيان وفضله:**

إنّ المتكلّم والأديب إذا كتب أو تكلم فإنما يكون غرضه إخبار السامعين أو القارئين بما يقصده كما يسعى إلى أن ينقل إليهم ما يحسّ به أو ما يختلج في صدره، وبذلك يكشف لهم المستور الخفيّ وبالتالي تكون وسيلته إلى ذلك كلام مُبين، يفصح به عمّا في نفسه أو قلبه، وهذا ما أكسب البيان الأهمية والمكانة الكبيرة لما له من فضل في كشف مكنون ضمير الإنسان.

وتظهر في صفحات من كتاب الجاحظ تلك الأهمية وذلك الفضل للبيان، ونراه يفصح عن ذلك بقوله: « المعاني القائمة في صدور النّاس المتصوّرة في أذهانهم والمتخلّجة في نفوسهم، والمتّصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفيّة، وبعيدة وحشيّة، ومحجوبة ومكنونة، وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه. إنّما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها

---

([1]) الجاحظ، البيان والتبيين ،ج1ص80 .

([2]) المصدر نفسه،ج1 ،ص80 .

([3]) المصدر نفسه،ج1، ص80.

وإخبارهم عنها، واستعمالهم إيّاها، وهذه الخصال هي التّي تقربها الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفيّ منها ظاهرا، والغائب شاهدا، والبعيد قريبا »[1]

يسوق الجاحظ أمثلة يفسر أو يبرز عن طريقها فضل " البيان"، كما يؤكد أهميته، ونذكر أمثلة التي نجدها مبثوثة في كتابه:

**3-3-1 أولا:** إشادة القرآن الكريم بهذه النّعمة العظيمة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ الرّحمن 1-4

وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ آل عمران 138

فالله تعالى في هذه الآيات يذكر نعمته في تقويم اللّسان، كما مدح الله تعالى القرآن بالبيان والإفصاح، وبحسن الإيضاح وجودة الإفهام، وقوله جلّ وعلا: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ النحل 89.

فكلّ هذه الآيات التي ساقها الجاحظ كدليل فضل البيان وأهميته إذ أنّ الله تعالى يعدّ البيان من أعظم النّعم، كما يمدح اللّه تعالى في آياته هذه القرآن من جهة البيان والإفصاح وجودة الإفهام.

**3-3-2-ثانيا:** إجماع جميع العلماء على فضله وأهميته، وقد نقل الجاحظ في ذلك أقولا لطائفة كبيرة تدّل على إدراكهم للبيان وأهميته، فقد جاء في كتابه قوله: « البيان بصر، والعيّ عمًى، كما أنّ العلم

(1) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1، ص75.

بصر والجهل عمًى، والبيان من نتاج العلم، والعيّ من نتاج الجهل»[1] وقال سهل بن هارون« العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم، وحياة العلم البيان»[2] وقال ابن التوأم: « الرّوح عماد البدن والعلم عماد الرّوح، والبيان عماد العلم »[3]

**3-3-3-ثالثا:** تمييز الله سبحانه وتعالى- الإنسان عن سائر المخلوقات بالبيان، فلولا البيان لكان الإنسان جمادا أو بهيمة.

ودليل الجاحظ في ذلك فيما نقله عن خالد بن صفوان قوله :« ما الإنسان لولا اللّسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة » كلّ هذه كانت بعض أدلة الجاحظ التي ساقها ليؤكد فضل البيان وأهميته وعلوّ قيمته وشأنه، وعن مدح الله تعالى له وإشادة العلماء به أيضا أنّ الجاحظ يدافع عن البيان العربيّ ويبيّن أنّه منحة من الله للعرب دون سواهم من الأمم فجعل كلامهم بيّنا ظاهرا مفهوما.

**4-علم البديع:**

يعدّ ابن المعتز (ت 296هـ) أوّل من وضع البديع، وجمعها في كتاب مستقلّ سمّاه البديع، كما يعدّ أوّل من جمع هذه الفنون في كتاب مستقلّ ووضّحها.

إذا كان لابن المعتزّ فضل في جمع الفنون وشرحها وتوضيحها بالأمثلة والشواهد، فليس له الفضل في تسميتها بالبديع فقد سبقه الجاحظ إلى ذكر الكثير منها في كتابه، كما أتى لها بالشواهد والأمثلة كي يشرحها و يفسّرها. « وقد ذكر الجاحظ أنّ مصطلح البديع أطلقه الرّواة على المستطرَف الجديد من الفنون الشّعرية وعلى بعض الصّور البيانية التي يأتي بها الشّعراء في أشعارهم فتزيدها حسنا

---

([1]) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1، ص171.

([2]) المصدر نفسه ،ج1، ص77.

([3]) المصدر نفسه، ج1 ، ص 77 .

وجمالا»[1]، ودفع الجاحظ غلوّه في حبّ العرب إلى أن يذكر مجموعة من الشّعراء والخطباء ويطلق على كلامهم اسم البديع وذلك لأنّهم كانوا يجمعون الشعر الجديد الجيد الذي يحتوي على البيان الحسن، وفي ذلك يقول الجاحظ :« ومن الخطباء والشعراء ممّن كان يجمع الخطابة والشعر الجيّد والرّسائل الفاخرة مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العتابي وكنيته أبو عمرو، وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلّف مثل ذلك من شعراء المولّدين، كنحو منصور النّمري، ومسلم بن الوليد الأنصاريّ وأشباههما، وكان العتّابي يحتذي حذو بشار في البديع ولم يكن في المولّدين أصوب بديعا من بشار، وابن هرمة»[2]

ونستنتج من كلّ ما سبق أنّ الجاحظ كان البلاغيّ الأسبق في التّطرّق إلى هذا العلم، حيث أطلقه على كل الأشعار والقصائد الشريفة الجديدة التّي يؤلفها الشعراء، والتّي تمتلئ بمختلف الصّور البيانية التي بدورها تزيد شعرهم جمالا وتأثيرا في السّامع والقارئ.

وعلى هذا يكون كتاب البيان والتبيين للجاحظ المصدر الّذي نهل منه المتأخرون ومن أبرزهم ابن المعتّز الّذي وضع كتابه بوحي من الجاحظ واستقى كثيرا من مادّته العلميّة من هذا الكتاب.

كما هو معروف أنّ البلاغيين يقسّون السّجع إلى أقسام ثلاثة:

أمّا الأوّل، المطرّف: « هو اتّفاق الفاصلتين في حروف السّجع، اختلافها في الصّيغة الصرفيّة»[3] ويتمثّل القسم الثاني في السّجع المرصّع: وهو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين مثل ما يقابلها

---

([1]) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ج1، ص379 .

([2]) الجاحظ، البيان والتبيّن، ج1، ص51.

([3]) بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتب الجديدة، 2008م، بيروت، ط1، ص323.

من الفقرة الأخرى وزنا وتقفية» [1] وفي الأخير، السّجع المتوازي: "هو أن تتفق اللّفظة الأخيرة من المقطع الأوّل، مع نظيرتها من المقطع الثّاني في الوزن والحرف الأخير"[2] فالجاحظ في كتابه أشار إلى هذه الأقسام بمجموعة من الأمثلة، فقد أشار إلى النوع الأول بمجموعة من النّصوص منها قولهم: « من صادق الكتّاب أغنوه، ومن عاداهم أفقروه».[3] إضافة إلى أمثلة كثيرة تصبّ في هذا النّوع. أما النّوع الثاني فذكر الجاحظ قول الشعبيّ: "قال عيسى ابن مريم عليه السّلام: البُرّ ثلاثة: المنطق، والنظر والصّمت. فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها"[4]، والثالث قول عبد الملك الأعرابيّ دعا فقال: « ما أطيبُ الطّعام ؟ فقال بكرة سنِمة معتبطة* غير ضمِنة*، في قدور رذِمة*، بشِفار خذِمة*، في غداة شبِمة*»[5] فالتوافق في هذا المثال كان في كلّ لفظة مع اللّفظة التيّ تقابلها في الوزن .

---

([1]) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تح: حسن نجار أحمد، مكتبة الآداب، دط،1999م ص325.

([2]) بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص324.

([3]) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص287 .

([4]) المصدر نفسه، ص297.

([5]) المصدر نفسه، ج1، ص 297.

* معتبطة: منحورة من غير داء، يقال اعتبط الإبل والغنم، إذا ذبحت من غير داء .

* غير ضمنة: غير مريضة

* رذمة: سائلة من إمتلائها.

* خذمة: قاطعة.

* شبمة: باردة.

**المبحث الثاني: المصطلحات الخاصة عند الجاحظ**

**1- مسائل علم المعاني:** تعرّض الجاحظ في كتابه للكثير من المسائل التي أدرجها البلاغيون تحت هذا العلم، وهذا ما يدل على وضوح هذه المسائل عنده، فهو قد أشار إشارة خفيفة إلى أنّها تدل على تمكّن هذه المسائل في عقله، ونذكر أهم المسائل التي تطرق إليها.

**1-1 الفصل والوصل:** وهي من أهم أبواب علم المعاني، ففي الوصل مثلا يتعرض إلى العطف مشيرا إلى أنّه حرف من حروف العطف له موضعه من الكلام حسب مقتضيات الأحوال فقد ورد في البيان والتبيين أمثلة كثيرة عن العطف:«ومرّ رجب بأبي بكر ومعه ثوب فقال: أتبيع الثوب، قال: لا عافاك الله، فقال: أبو بكر رضي الله عنه: لقد عُلِّمْتُمْ لو كنتم تعلمون، قل: لا، وعافاك الله»[1] فالخطأ يظهر في الواو عندما قال: لا عافاك الله فهنا يكون فصلا لا وصلا لأنّه بهذا يقصد الدّعاء عليه لا الدّعاء له، فالصّحيح هو لا، وعافاك الله.

«فيُروى أنّ رجلًا من بني مجاشع قال: جاء الحسن في دم كان فينا، فخطب فأجابه رجل فقال: قد تركت ذلك لله ولوجوهكم، فقال الحسن: لا تقل هكذا بل قل: لله ثم لوجوهكم، وآجرك الله»[2]فالوصل هو عطف الجمل بعضها على بعض والربط بينها، أمّا الفصل فهو ترك عطف بعض الجمل على بعض ومن هذا فإن حديث الجاحظ على الفصل والوصل لم يكن مطولا وإنما فتح الطريق أمام البلاغيين وأعطى القليل من الأمثلة لتكون فيما بعد الإشارة إلى الخوض في هذا العلم التي هيأت للبلاغين بعده حديثهم في هذا الباب.

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 261.

[2] المصدر نفسه ، ج1، ص 261.

**1-2 الحذف:** هو من المسائل البلاغية لعبت دورا في صناعة الكلام لأن بعض المواقف تستدعي حذف الكلام فترك الذّكر قد يكون أفصح من الذّكر فالصمت في بعض المواقف يكون أكثر فائدة وأهمّ مكانة.

فالجاحظ في حديثه عن الحذف، بين أهميته، وماله من تأثير على نفوس الفصحاء والسامعين:«وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول: احذفوا الحديث كما يحذفه سلم بن قتيبة، ويزعمون أنّهم لم يرو محدثا قط صاحب آثار كان أجود حذفا وأحسن اختصارا للحديث من سفيان بن عيينة»،[1] فالعرب قديما كانوا يميلون إلى الحذف لماله من أثر في صناعة الكلام، فهم يرون أنّه هناك من المواقف ما تستدعي الحذف حتى يؤثر في السامع.

وقد خصص الجاحظ للحذف بابا في كتابه سمّاه " باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف، القليل الفضول، عرض فيه مجموعة من الأشعار تضمنت حذف المبتدأ.

شمس إذا خطل الحديث أو أنسي يرقبن كل مجذر تنبال

أنف كأنّ حديثهنّ تنادم بالكأس كل عقيلة مكسال"[2]

فهنا حذف المبتدأ (هنّ)، والمقصود، هنّ شمسٌ، وهنّ أنفٌ).

**3.1. القلب:** أحد تقسيمات علم المعاني، وقد تطرّق الجاحظ إلى معنى القلب في أحد أقواله:« وقال سعيد بن عثمان بن عفان رحمة الله لطويس المغني: أينا أسنّ أنا أم أنت ياطاووس؟ قال: بأبي أنت وأمي، لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب"، فانظر إلى حذقه وإلى معرفته بمخارج الكلام

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1،ص 174، 175.

[2] المصدر نفسه ، ج1، ص 261.

كيف لم يقل: زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك، وهكذا كان وجه الكلام فقلب المعنى»[1]، وذلك ليكون القلب هنا لبركة الأمّ والطيبة للأب، حتى تثبت لهما البركة والطيبة معا.

هذا النّوع من الصّور وتخريج المعنى على خلاف مقتضى الظاهر، لأنّه خالف المعتاد، فالقلب إذن هو الخروج على مقتضى الظّاهر، وذلك بأن يجعل أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه.

**1-4 الإطناب:** من أقدم الفنون، يدل على الطول والتتابع، ويكون كثيرا في الوصف والمبالغة، فعندما يعمد المتكلم إلى وصف شيء معيّن فهو يطنب أو يطيل في كلامه، فقد أشار إليها الجاحظ كثيرا حيث يقول: «وكان سهل بن هارون شديد الإطناب في وصف المأمون بالبلاغة والجهارة، وبالحلاوة والفصاحة، وجودة اللهجة والطّلاوة »[2]

« والإطالة والإطناب مترادفان ومقابلان للإيجاز عند أبي عثمان، فهما عنده كل ما جاوز مقدار الحاجة من الكلام ولم يقف عند منتهى البغية»[3]

وعليه فالإطناب عند " أبي عثمان" هو التعبير عن المعاني القليلة بالألفاظ الكثيرة، بأكثر ما تستحقه المعاني، فالإطناب مقابل للإنجاز، ففيه يتجاوز المتكلم مقدار حاجته من الكلام فيزيد عليه بألفاظ كثيرة ويكون غرضه الوصف أو المبالغة الملخصة بدورهما يتطلبان هذا الفنّ:

« ولأنّ العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقي بالبشر، من حقوق القرى، ومن تمام الإكرام به، وقالو: من تمام الضّيافة الطلاقة عند أوّل وهلة، وإطالة الحديث عند المواكلة، وقال شاعرهم- وهو حاتم الطائي-:

سلى الجائع الغرثان يا أم منذر إذا ما أتاني بين ناري ومجزري

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 279.

[2] المصدر نفسه، ج1 ، ص 91.

[3] محمد علي زكي الصّباغ ، البلاغة الشعرية في البيان والتبيين ،ص 221.

هل أبسط وجهى أنّه أوّل القرى وأبذل معروفي له دون منكري[1]

« فإذا لم تكن في الزيادة فائدة سمي تطويلا، وإذا كان الزيادة في الكلام متعينة لا يفسر بها المعنى، فيسمى حينئذ حشوا»[2].

وينقل "الجاحظ" بعض الأقوال يبين من خلالها عيوب الإطناب وسلبياته:« ويقال إنهم لم يروا خطيبا قط بلديّا...إلى أن يتوقع وتستجيب له المعاني، ويتمكن من الألفاظ، إلاّ شبيب بن شيبة، فإنه كان قد ابتدأ بحلاوة ورشاقة، وسهولة وعذوبة، فلم يزل يزداد منها حتى صار في موقف يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره».[3]

فالخطيب يبلغ بقليل كلامه مالا يبلغه الآخر بكثرة فأحيانا يكون حشوا لا أكثر وليس فيه فائدة، وفي موضع آخر يقول: «وهم وإن كانوا يحبون البيان والطلاقة... فإنهم كانوا يكرهون السلاطة والهذر والتكلّف، والإسهاب والإكثار، لما في ذلك من التّزايد والمباهاة، وإتّباع الهوى، والمنافسة في العلوّ»[4] ويظهر من هذا القول أن الإطالة والإكثار والإسهاب في الكلام قد يكون لغرض التباهي والفخر، وهذا من الصّفات التي يكرهونها.

« وعن مطرّف بن عبد الله بن الشخّير، عن أبيه قال: قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد فقلنا: يا رسول الله، أنت سيدنا، وأنت أطولنا علينا طولا، وأنت الجفنة الغراء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أيّها النّاس، قولوا بقولكم ولا يستفزّنكم الشيطان فإنما أنا عبد الله

---

([1]) الجاحظ ،البيان والتبيين،ج1،ص10

([2]) محمد علي زكي الصّباغ ، البلاغة الشعرية في البيان والتبيين ،ج1 ، ص221.

([3]) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1 ، ص 112 ، 113 .

([4]) المصدر نفسه ، ج1 ، ص191 .

ورسوله"»[1]فالرسول صلى الله عليه وسلم كره هذه الإطالة عند ما وصفه ذلك الوفد من الناس ونهاهم عن ذلك وعدّه استفزازا من الشيطان.

كما أن غرض "الحجّاج" من الإطناب غرض بلاغي، ويتمثل في مطابقة المقال للمقام، بمعنى أن الإطناب مطلوب إذا استدعى المقام ذلك، «فقيل له وإن ملّ السّامع الإطالة التي ذكرت أنّها حق ذلك الموقف؟ قال: إذا أعطيت كل مقام حقه، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام»[2].

فلا يلجأ المتكلم إلى الإطناب إلاّ في بعض المواقف التي تستدعي ذلك.

5.1. **الإيجاز**: هو مقابل للإطناب والإسهاب في الكلام، ويعني التعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وهو من الفنون المستحسنة عند البلاغيين كونه لا يجلب الملل للسّامع كالملل الذي يحدثه الإطناب أحيانا.

تطرق إليه الجاحظ في كتابه إذ يقول: «سأل معاوية الصّحار، قال له: ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز، قال له معاوية: ما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ»[3]. قد عدّ العرب الإيجاز من العناصر المهمة التي ينبني عليها الكلام البليغ، فيذهبون إلى أن البلاغة هي الإيجاز هذا ما يعني كون الإيجاز من أهم الخصائص اللغوية التي كان يميل لها العرب قديما على خلاف الإسهاب والإطالة.

فالإيجاز عند" الجاحظ" هو إحراز أكثر ما يمكن من المعاني بأقل ما يمكن من الألفاظ فنراه يصرّح بقوله: "ما كان أبعد معنى وأقل لفظا حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف"[4]. ومعنى هذا أنّ الإيجاز عنده

---

[1] الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج1، ص 195.

[2] المصدر نفسه، ج1،ص 116.

[3] المصدر نفسه،ج1، ص 96.

[4] المصدر نفسه،ج1، ص 229.

يدور حول قلة عدد الحروف والألفاظ مع تضمينها لكثير من المعاني مع وضوحها في نفوس السامعين أي أن تكون مفهومة لديهم.

وخلاصة القول أنّ الإيجاز اللغوي عند " الجاحظ" يتلخص في كمية الألفاظ التي يختارها المتكلم للتعبير بها عن معانيه التي يقصدها، حيث أنّ عدد الكلمات وعدد الحروف حسبه هي التي تشكل موضوع الإيجاز والإطالة فإذا كانت الحروف والألفاظ كثيرة كانت الإطالة وإذا قلت الحروف كان الإيجاز، فالمعاني وإن كانت هي الغاية التي يجري إليها كل من السامع والمتكلم لأنها هي التي تعود إليها بالفائدة أو الخسارة، إلاّ أن مقياس هذه الفائدة وميزانها الوحيد هو الألفاظ.

**2-مسائل البيان":**

عُرف الجاحظ بأسلوبه الاستطرادي، حيث نجده يتكلم عن قضيته في صفحة معينة لينتقل بعدها إلى قضية أخرى، ثم يعود إلى النقطة السابقة التي تكلم عليها من قبل، وكما سبق ذكره نجد أنّ المصطلحات البلاغية مبثوثة ومنتشرة في كتابه ولا يمكن إيجادها إلى بالتأمل والتصفح الدقيق.

تطرقنا من قبل إلى مفهوم البيان عند الجاحظ والآن سوف نقوم بذكر مختلف المسائل أو المباحث التي تدخل ضمن" البيان" والتي تناثرت في الكتاب، ومن مباحث " البيان":

**2-1المجاز:** اتفق جميع البلاغيون على أنّ المجاز هو استعمال اللفظ لغير ما وضع له أصلا.

أمّا إذا عدنا إلى الجاحظ فنجد تعريفات متعددة لمصطلح المجاز" « فهو في نظره قبل كل شيء خروج عن المعنى الأصلي وابتعاد عنه، فهو عبارة عن مخالفة ترتكب من المتكلم ضدّ قاعدة التطبيق بين اللفظ والمعنى، هذا التطبيق الذي يعتبر حقا من الحقوق، وواجبا من الواجبات، فالمتكلم الذي يلجأ إلى المجاز هو متكلم يستبيح إعطاء المعاني مالا تستحقه من الألفاظ[1] ، ولذلك لم يفهم المجاز إلاّ على أنه « تجاوز المقدار »[2] أو « مجاوزة لمقدار الحاجة»[3] أو « تحويل المعاني عن مقادير صورها »[4].

مع أن "الجاحظ" لم يسميه إلاّ أنّ استعماله يدل على حده، إذ يعني نقل المعنى من معناه الأصلي إلى معنى بعيد لا يدرك إلا من وراء الألفاظ.

إنّ مسألة" المجاز" في البيان والتبيين ترتبط بقضيتي القصص والمفسرين، « ولا غرابة في ذلك فإن كلام هذين الفنين مبني على أساس مجازي ويعتمد بالدّرجة الأولى على نقل المعنى وتوسيعه»[5]

---

[1] الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبي عند الجاحظ، ص 279.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 202.

[3] المصدر نفسه،ج1 ،ص 288.

[4] المصدر نفسه،ج1 ،ص 254.

[5] محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص 276.

فالمفسرون كانوا يجلسون للتفسير وقد يسرح خيالهم بعيدا في تفسير بعض آيات القرآن الكريم فيغتنم فرصة تفسير بعض الآيات لإطلاق العنان لخيالهم،" ويروى للمستمعين بعض الأعمال البطولية أو المواعظ الدينية مع ما في ذلك من تجاوز للنصوص واستجازة لأخبار لا تؤكدها الرّواية الصحيحة"[1].

وقد قام الجاحظ بذكر بعض هؤلاء المفسرين والقصاص منهم«موسى بن سيار الأسواري الذي كان يقرأ الآية بالعربية ويفسرها ثم الفارسية ويفسرها في مجلس المشهور به»[2]

وكذلك " أبو علي الأسواري القاص الذي روي أنّه قص في مجلسه ستا وثلاثين سنة مبتدئا بسورة البقرة وكان حافظا للسّير ولوجوه التأويلات والتفسيرات، فكان ربما فسر آية واحدة في عدة أسابيع، كأن الآية ذكر فيها يوم بدر، وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق في ذلك من الأحاديث كثيرا"[3]

«وهذا النّص هام جدا لأنه يبين تداخل موضوعي التفسير والقصص وارتباطهما بالمجاز، فنشاط القصاص قد أدى إلى إلحاق كثير من الأحاديث بالنصوص الأصلية مما هو نوع من التوسع للمعاني وضرب من المجاز، وقد فطن الجاحظ للغاية المنشودة من هذا الحشد وهي تحريك عاطفة المستمعين بالعمل الرّوائي الناتج عن تلك الإضافات، وقوله كأن الآية ذكر فيها يوم بدر يدل على أن "الجاحظ" لاحظ العلاقة البعيدة بين النّصوص المفسرة والأخبار المسرودة وعبارة ممّا يجوز لم تأت عفوا منه فهو كثيرا ما يعبر عن المفهوم البلاغي لمشتقاته»[4].

فالجاحظ يصف تلك الإضافات التي يضيفها المفسّرون عند تفسيرهم لبعض آيات الذكر الحكيم بالمجاز، وكذلك يعدّها نوعا من التوسع في المعاني وإطلاق العنان لخيال المفسرين وذلك قصد التأثير في المستمعين وتحريك مشاعرهم والتي هي من الغايات التي يسعى إليها المجاز .

---

[1] ينظر: الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج1 ، ص 277.

[2] المصدر نفسه ، ج1، ص368.

[3] ينظر:المصدر نفسه ، ص268.

[4] ينظر: محمد الصّغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص 277.

أما بالنسبة لأبوعلي الأسواري الذي كان مترجما ويفسر بلغتين الفارسية والعربية وعملية الترجمة كما هو معروف شبيهة بعملية المجاز، حيث أن المترجم يسعى إلى نقل المعنى من وضعه الأصلي الذي يجب استعماله فيه إلى وضع مؤقت مستعار مثل ما يفعل المتكلم في المجاز.

رغم أن الجاحظ لم يعرّف المجاز تعريفا اصطلاحيا مثلما هو مستقر في البلاغة العربة اليوم، إلاّ انّه ومن خلال استعماله كمفهوم يدل على نقل المعنى أو الاستقلال باللفظ من معناه الأصلي القريب إلى معنى فرعي بعيد يتم إدراكه من وراء الألفاظ.

**2.1. الاستعارة:**

تعتبر الاستعارة الدعامة الأولى الأساسية للبلاغة وتعرف الاستعارة بأنّها نقل سمات وخصائص شيء ما لشيء آخر يكون بعيدا عنه في الأصل، وتعتبر الدّعامة الأولى والموضوع الرئيسي للبلاغة غير أنّ الجاحظ لم ينظر إليها هذه النظرة الخاصة، ولم يعتن بها أكثر ممّا اعتنى بالوجوه البلاغية الأخرى حيث نجده عرّف الاستعارة وطرقها بذات الطريقة التي طرق بها كثيرا من المفاهيم البلاغية الأخرى، فنجده تعرّض لها بطريقة غير مباشرة وذلك وفق أسلوبه المعروف، يعني من خلال تعاليق يعقّب بها على بعض النصوص والشواهد التي يذكرها، وهذه الملاحظات تكتشف إلى حدّ ما عن أفكاره حول الموضوع لكنّها لا تشكل تعريفًا محدّدا جامعا مانعا له.

وقد وردت الاستعارة عنده بتسميات مختلفة مثلا "مستعار، وأستعير، وأعير وأعار، واستعارة"[1] . استعمل الجاحظ لفظ استعارة بهذه الصيغة في معناها الاصطلاحي وذلك عندما علّق على بيت في " قول الشاعر:

وطفقت سحابة تغشاها تبكي على عراصها عيناها.

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص254، 153، 284.

تعليقه وطفقت يعني ظلّت. تبكي على عراصها عيناها، عيناها هاهنا للسحاب، وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشيء باسم الشيء باسم غيره إذا قام مقامه»[1].

وتعليق الجاحظ هذا يكاد أن يكون تعريفا جامعا للاستعارة، وهو ما يدل على أنّها المصطلح كان متداولا في ذلك العصر.

وكذلك تعليقه على قوله تعالى﴿ هَـٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الواقعة –56–«والعذاب لا يكون نزلا، ولكن لما قام العذاب لهم في موضع النعيم لغيرهم، سمّي باسمه »[2] وأيضا قوله عزّ وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ غافر–49–. « فالخزنة: الحفظة. وجهنم لا يضيع منها شيء فيحفظها ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها، ولكن لما قلت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به»3، فالملائكة اسم لا يمكن إدراكه وتخيل شكله وهيأته ولا يمكن للعقل البشري تصوره، ولكن اسم "الخازن" يمكن إدراكه فوظيفته معروفة لدى جميع الناس لذا أستعير للملائكة لتقريب المعنى من السامع وجعله مفهوما عنده.

وعند التمعّن في كل النصوص والتعليقات التي ساقها" الجاحظ" ندرك موقف الجاحظ من الاستعارة المتمثل في أنّ الاستعارة عنده هي إعطاء خصائص شيء وسماته لشيء آخر لا يستحقها في أصل الكلام، فالمتكلم يعمد إلى استعارة معنى معين من اسم ما لينقله إلى اسم آخر ليست تلك السمات من صفاته وذلك بغية الإفهام والتسهيل على السامع.

والسبب وراء الاستعارة هو« عجز الأسماء عن استيعاب المعاني، فالمتكلم يلجأ لسدّ الفراغ الناشئ عن هذا العجز إلى اسم مجاور ينقله من مكانه العادي ويحوله عن مجراه الطّبيعي إلى ذلك الموضع

---

([1]) الجاحظ ن البيان والتبيين ، ص 153.

([2]) المصدر نفسه، ص 153.

([3]) المصدر نفسه ،ص 153.

الشاغر والاستعمال المؤقت حتى يتمكّن من التعبير عمّا يريد، وإبلاغ السامع ذلك المعنى الجديد فالاستعارة إذن هي نقل المعاني»[1] وعليه فالجاحظ يعتبر الاستعارة نقلا للمعاني والمدلولات، لا للألفاظ.

### 3.2. الكناية:

فنّ بلاغي حدّها أنّها ترك التصريح بذكر الشيء، ولها معنيان الأول مستور خفي والثاني واضح بيّن، الأول هو المجاز، والثاني هو الحقيقة التي تفهم أولا، فهي عبارة عن ستر وإخفاء المعنى المقصود بآخر غيره مستقيل في ذاته ويوحي إلى المعنى الأول، وعلة إخفاء المعنى مثلا لسبب وجود عيب في المعنى الأول الظاهر.

لم يغفل الجاحظ عن دراسته هذا المصطلح، وكالعادة يقوم بتقديم أمثلة وشواهد بين من خلالها حدود هذا المصطلح، ومن الأمثلة التي ساقها الجاحظ في ذلك: «وإذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل، وإذا قالوا للعامل مستقصٍ فتلك كناية عن الجور»[2]، ونقل قول شريح:« الحدّة كناية عن الجهل»[3]، وأيضا : «كناية عن البذاء»[4].

فالجاحظ في هذه الأمثلة استعمل لفظ كناية مصطلحا ومفهوما بمعنى إخفاء المعنى المقصود وإظهار معنى آخر فقولهم: فلان مقتصد لا يقصد المتكلم هذا المعنى الظاهر في كلمة مقتصد وإنما قصد معنى آخر مستور هو البخل، مكتفيا بذكر ما يدل عليه تلميحا أو إشارة.

فالكناية عند الجاحظ هو التعبير عن المعاني بألفاظ لا تدل عليها مباشرة وقد لا تدل عليها أصل فتكون بعيدة عنها تماما.

---

[1] محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص292.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص263.

[3] المصدر نفسه،ج1 ، ص 263.

[4] المصدر نفسه،ج1، ص 263.

يقول الجاحظ: «فمن يستطيع أن يصور كثيرا من حروف الزمزمة والحروف التي تظهر في فمّ المجوسي إذا ترك الإفصاح عن معانيه وأخذ في باب الكناية وهو على الطعام»[1] أو «والكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف»[2]أو قول بعض أهل الهند: «ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أو عن طريقة»[3] نجد أنّ الجاحظ بذكر الكناية ثم مقابلها الذي هو الإفصاح والكشف.

ويعلق في موضع آخر، ما مفاده أن العرب تلجأ إلى الكناية كنوع من التضليل، إذ لا يكون الاسم الأول مطابقا فيستبدل بآخر يطابق المعنى أو الحال الذي سيكون عليه، فمثلا الجارية الحسناء التي يطلق عليها بالأمس صبيّة، مليحة، غيداء، لا يصحّ إطلاق هذا السم عليها اليوم وهي كهلة عجوز أضحى بنوها رجالا وبناتها نساء لذا يستبدل الاسم الأول بكنية، تعريض عنه، تصلح المعنى الجديد، مثل: (أم عمرو، أم حكيم) فقال في ذلك:« ولأمر ما كنت العرب البنات فقالوا: فعلت أم الفضل، وقالت أم عمرو وذهبت أم حكيم»[4]، فالمتكلمون يقومون باستبدال الأسماء لتناسب مسمياتها، فالعرب تجعل لكل حادث حدث ولكل مقام مقال.

### 4.2.التشبيه:

هو فنّ بلاغي يدخل ضمن البيان، حده الاصطلاحي هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في وجه واحد أو أكثر، أو في معنى أو أكثر من معنى، من أدواته الكاف، وأدوات أخرى منها ما يكون أسماء ومنها ما يكون أفعالا.

---

[1] الجاحظ ،البيان والتبيين،ج1 ، ص 34.

[2] المصدر نفسه،ج1، ص 117.

[3] المصدر نفسه،ج1 ، ص 77.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص 146،147.

للتشبيه روعة وجمال لإظهار الخفي، وتقريب البعيد، يكسب المعاني رفعة ووضوحا، يدفع الخيال على التحليق فيجعل الصورة واضحة بعدما كانت غامضة مبهمة.

تطرق الجاحظ إلى هذا المصطلح–التشبيه– ويرى أنّ« أهم مقاصد التشبيه هو الإيجاز في عرض المعاني، وفي تحدثه عن الإيجاز وبلوغ المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، ألمح إلى أن التشبيه من أهم ما يؤدي إلى الإيجاز»[1] .

ومن الشواهد التي نقلها " الجاحظ"، والتي لم ترد صراحة تحت عنوان التشبيه في " البيان والتبيين" قول بشار بن برد غفي تشبيه عنق بن عطاء بنقنق الدّوِّ:[2]

مالي أشايع غزالا له عنق كنقنق الدّو إن ولّى وإن مثلا.

كما نقل أيضا قول الشاعر حين شبه صغير كف المهجو بأصغر من كفّ الصبيّ، كما عاب صغر رأسه على حدّ قول الجاحظ:[3]

"فقبّلت رأسا لم يكن رأس سيد وكفا ككف الصب أو هي أحقر"

فهو هنا يذكر كل من المشبه والمشبه به إضافة إلى أداة التشبيه "الكاف" ومن أمثلته في التشبيه أيضا قول الشاعر يصف ناقته:«خرقاء إلا أنها صنّاع

فوصف سرعة نقل يديها ورجليها أنّها تشبه المرأة الخرقاء وهي الخرقاء في أمرها الطياشة »[4].

هكذا حدد "أبو عثمان" التشبيه، بمجموعة شواهد تحدّد أطرافه وأداته، فهو لم يضع له عنوانا خاصا به، كما أنه لم يفصل فيه كل التفصيل، فهو لم يحو نظرية واضحة، لمعالم. وإنما تناثرت الإشارات إليه كما تناثرت الشواهد التي توضّحه.

---

[1] فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية في كتاب الجاحظ، ص 226.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص16.

[3] المصدر نفسه،ج1 ، ص 64.

[4] المصدر نفسه،ج1 ، ص 150.

**3 – مسائل علم البديع:**

عالج الجاحظ في كتابه كثيرا من ألوان البديع وفنونه، كما دعمها بالأمثلة والشواهد التي توضحها وتفسرها، والتي جاءت متناثرة في كتابه، حيث أحصى الكثير من الفنون التي انتشرت في عصره والتي وجدت في أشعار المتقدمين والتي أضفت جمالا ورونقا على كلامهم. ومن بين هذه الفنون ما يلي:

**3-1 الهزل ويراد به الجد:** والمقصود به عند البلاغيين: أن يذكر المتكلم على سبيل اللعب وفي الحقيقة أمر صحيح. و هو من المحسنات المعنوية التي تحسن في المعنى وتزينه وتجعله جميلا في ذهن المتلقي فيستحسنه ويحبذه.

أما بالنسبة للجاحظ فقد عرض هذا اللون البديعي، وسنذكر بعضا من الأمثلة التي ساقها ليوضح هذا اللون. ومثاله في ذلك قوله: «وقال بن هانئ، وكان ماجنا خليعا، وكثير العبث متمردا، ولولا أنّ كلامه هذا الذي أراد به الهزل يدخل في باب الجدّ، لما جعلته صلة الكلام الماضي وليس في الأرض لفظ يسقط البتّة، ولا معنى يجوز حتى لا يصلح لمكان من الأماكن»[1]. ويتضح من هذا أنّ الجاحظ يريد بهذا اللون إظهار الهزل مع إرادة الجدّ، وهذا يبيّن لنا أنّ البلاغيّين بعده لم يضيفوا شيئا لما جاء به حيث يراد بهذا اللون أن يذكر الشيء على سبيل اللّعب والمباسطة وهو يعبر عن حقيقة ما، إذ أنه هزل في ظاهره لكنه جدّ في باطنه.

ونضيف مثالا استشهد به الجاحظ لهذا اللون قول إبراهيم بن هانئ: «من تمام آلة القصص أن يكون القاصّ أعمى، ويكون شيخا بعيد مدى الصوت، ومن تمام آلة الزمر أن تكون الزّامرة سوداء (...) ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرابيا، ويكون الدّاعي إلى الله صوفيا...»[2]. والقائل هنا يستحيل

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص93.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص93.

أن يريد المعنى الظاهر الذي هو هزل ولعب وهو في الحقيقة يدخل في باب في باب الجدّ والحقيقة ويمكننا معرفة ذلك بدقة التأمل والتمعن.

**3- 2السّجع:** من المحسّنات اللفظية وهو عند البلاغيين: «تواطؤ الفاصلتين من النثر في حرف واحد»[1]، وهو من الفنون البلاغية القديمة التي انتشرت بكثرة في أشعار القدماء.

أفاض الجاحظ حديثه عن هذا اللّون من المحسنات البديعية، وخصّص له بابين أطلق على الأول باب آخر من الأسجاع في الكلام، أمّا الباب الثاني فسماه باب أسجاع، حيث عرض فيها طائفة من النّصوص التي توضحه وتشرحه.

سنختار بعض من الأمثلة التي أوردها الجاحظ في كتابه: «قال عمر بن ذر رحمة الله: "الله المستعان على ألسنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخلف»[2]، كذلك فيما نقله عن رجل يصف أعرابيا فقال: «صغير القدر، قصير الشبر، ضيق الصدر، لئيم النحر، عظيم الكبر، كثير الفخر»[3].

من خلال هذه الأمثلة نلاحظ توافق الفواصل في حرف واحد وهو حرف الفاء في المثال الأول وحرف الراء في المثال الثاني.

يبين الجاحظ أنّ للسّجع أثرا في نفوس السامعين، ممّا يجعلهم يتمتعون بالكلام المسجوع ويستحسنونه مقارنة مع أيّ كلام عادي.

فيروى أنّه : «قيل لعبد الصّمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي: لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ قال: إنّ كلامي لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك ولكني أريد الغائب والحاضر، والرّاهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط، وهو أحق

---

[1] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ط1، 1996م، ص 442.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص284.

[3] المصدر نفسه، ص 284.

بالتقييد وبقله التّفلت»[1]. فهنا نلاحظ أن الرَّقاشي يمدح السّجع ويبين أثره في أذن السامع، كما يرى بأنّ الكلام المسجوع سهل الحفظ.

[1].الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص287.

# خاتمة

**خاتمة:**

إنّ علم البلاغة من العلوم الأكثر شيوعا قديما وحديثا، ومن خلال دراستنا للمصطلحات البلاغية عند الجاحظ في كتابه البيان والتّبيين، تبين لنا أنّ الجاحظ من أعلام الفكر اللغوي العربي الأصيل ويظهر ذلك من خلال كتابه المشهور البيان والتّبيين الّذي مثّل موسوعة عربية جمعت معارف لغوية وأدبية وبلاغية ثم إننا بعد سلوكنا لهذه الدّراسة تطرقنا إلى معظم المسائل البلاغية في هذا الكتاب، أمّا النتائج التي توصلنا إليها والتي سنختم بها هذه المذكرة وهي في غاية الأهمية:

1- إنّ البلاغة العربية من العلوم التي ساعدت اللغة العربية على إثبات تواجدها.

2- مرّت البلاغة العربية بتجارب متعددة ومراحل كثيرة.

3- العصر العباسي أكثر العصور ازدهارا، إذ كان له الأثر الكبير في تكوين ثقافة الجاحظ.

4- درس العرب المصطلحات البلاغية قبل الجاحظ ولكن كإرهاصات فقط ولم تلقَ رواجا كعصر الجاحظ.

5- احتل الجاحظ مكانةً راقية بين العلماء خاصة في البلاغة فعدّه بعضهم مؤسسا للبلاغة.

6- كتاب البيان والتبيين من أول الكتب التي حملت في حياتها فكرا بلاغيا وأدبيا يحتاج إلى الدراسة. واستطاع الجاحظ بحسّه المرهف وروحه العلمية أن يدرك المفاهيم البلاغية التي ظهرت عند العرب.

7- وردت المصطلحات البلاغية في كتاب البيان والتبيين متناثرة بشواهدَ وأمثلة ولم ترد مرتبة في مباحث.

8- جمع الجاحظ في هذا الكتاب الكثير من الملاحظات والآراء، وأضاف إليها من عقله وفكره، كما حاول أن يضع ضوابط ومفاهيم للكثير من هذه الآراء.

9- قدَّم الجاحظ في كتابه أول دراسة واعية في البيان العربي، وما يرتبط به من مقاييس بلاغية.

10- ظاهرة الاستطراد وعدم الترابط بين الأفكار والموضوعات سمة بارزة في كتاب الجاحظ.

11- استعمل الجاحظ بعضًا من المصطلحات البلاغية بأسمائها المعروفة اليوم مثل البيان والبلاغة والبديع، وأشار إلى المصطلحات الأخرى بمشتقاتها مثلما رأينا في الاستعارة (أستعير، مستعار..)

وفي الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا إلى حدٍّ ما في بحثنا المتواضع هذا، الذي أردنا من خلاله أن نثبت قدرة العقل العربي، وخاصة قدرة الجاحظ العلمية التي تميَّز بها وكذا أهمية كتابه البيان والتبيين التي اعترف بها معظم البلاغيين بعده، فالجاحظ واحد من العلماء اللّامعين الذي اتخذ علماء اللغة اجتهاداته العلمية أرضية وانطلاقة متينة ساروا عليها في بحوثهم.

# قائمة المصادر والمراجع

**قائمة المصادر والمراجع**

**- القرآن الكريم**


1- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، تح: (د) إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

2- ابن فارس أحمد، مقاييس اللّغة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م، مج1، مادة: بلغ.

3- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، 2005م، مج1، مادة: بلغ.

4- أبو شارب محمد، المدخل لدراسة البلاغة العربيّة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2007م.

5- أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، ج 1، تح: محمد فؤاد، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.

6- أبو عثمان بحر بن عمر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م.

7- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2008م.

8- أحمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، مكتبة ومطبعة مصطفى الباجي الصابي وأولاده ،ط1، 1952م.

9- بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتب الجديدة، بيروت، ط1، 2008م.

10- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م، مادة: بلغ.

11- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن علي، مفتاح العلوم، تح:عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.

12- السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، مكتبة أنجلو المصرّية، القاهرة، دط، 2005م.

13- الشاهد البوشيخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في البيان والتّبيين ، دار القلم للنشر والتوزيع،ط2، 1995م.

14- ضيف شوقي ، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط8، دت.

15- عبد القادر حسين، فنّ البلاغة، دار غريب، القاهرة، دط، 2006م.

16- عزّت السيد أحمد، فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2005م.

17- الفرّاء، معاني القرآن، ج3، بيروت، ط3، 1983م.

18- فوزي عطوي، الجاحظ دائرة معارف عصره، دار الفكر العربي، بيروت، ط2، 1998م.

19- القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة ،تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ط1، 1996م.

20- القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده،القاهرة،دط 1971م.

21- محمد صغير بناني، النّظريات اللّسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ديوان المطبوعات الجامعية، دط 1994م.

22- محمد علي زكي صبّاغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتّبيين، المكتبة العصرية ،بيروت ،ط1 1998م.

23- مطلوب أحمد، البحث البلاغي عند العرب، دار الحريّة للطباعة، بغداد، دط، 1982م.

24- مطلوب أحمد، معجم المصطلحات البلاغية،ج3 ،مطبعة المجمع العلمي العراقي، دط، 1982م.

25- الهاشمي أحمد، جواهر البلاغة، تح: حسن نجار أحمد، مكتبة الآداب، دط،1999م .

26- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج16، تح: (د) إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م.

# الفهرس

## الفهرس

**كلمة شكر**............................................................................/

**إهداء** .................................................................................../

**مقدمة**.................................................................................أ–د

**الفصل الأول: البلاغة قبل الجاحظ**............................................ **06–30**

المبحث الأول: ماهية البلاغة ونشأتها ............................................ 06

1– مفهوم البلاغة ............................................................ 06

1–1– لغة ...................................................................... 06

1–2– اصطلاحا................................................................. 07

2– نشأة البلاغة العربية ...................................................... 09

2–1– البلاغة في العصر الجاهلي ............................................ 09

2–2– البلاغة في العصر الإسلامي............................................ 10

2–3–البلاغة في العصر الأموي والعبّاسي ................................... 12

المبحث الثاني: الجاحظ وكتابه البيان والتبيين........................................ 15

1– التعريف بأبي عثمان بن بحر الجاحظ ....................................... 15

1–1– اسمه ونسبه.............................................................. 15

1–2– ثقافته وشيوخه .......................................................... 16

1–3 وفاته وأهمّ مؤلفاته ...................................................... 18

2–كتاب البيان والتّبيين ....................................................... 20

2–1– التعريف بالبيان والتّبيين................................................. 20

2–2– أجزاؤه.................................................................. 21

2–3 – مكانة كتاب البيان والتّبيين وأثره ...................................... 22

المبحث الثالث: المصطلحات البلاغيّة قبل الجاحظ ........................... 24

1– البلاغة ................................................................... 24

2–علم المعاني.............................................................. 26

3– البيان .................................................................... 27

4- المجاز ..... 28
5- الكناية ..... 29
6- الاستعارة ..... 29
**الفصل الثاني: المصطلحات البلاغية عند الجاحظ "البيان والتبيين"..... 32-67**
المبحث الأول: المصطلحات العامّة ومفاهيمها عند الجاحظ ..... 33
1- البلاغة ..... 33
1-1 – تعريفات البلاغة في البيان والتّبيين وتعدادها حسب الثقافات..... 33
1-2 – البلاغة هي معرفة أقدار المعاني ..... 34
1-3- البلاغة اجتماع آلة البيان ..... 35
1-4- البلاغة وعلاقتها باللفظ والمعنى ..... 36
2-الفصاحة ..... 37
2-1 عيوب فصاحة المفرد ..... 37
2-1-1 – غرابة الكلمة ..... 38
2-1-2- تنافر الحروف ..... 39
2-1-3- مخالفة القياس ..... 40
2-2 عيوب فصاحة الكلام ..... 40
2-2-1 تنافر الكلمات ..... 40
2-2-2 ضعف التأليف ..... 42
2-2-3 التعقيد ..... 42
3- علم البيان..... 43
3-1 تعريفه..... 43
3-2- أنواع الدلالات عند الجاحظ..... 44
3-2-1 اللفظ..... 44
3-2-2 الإشارة ..... 45
3-2-3 الخط ..... 46
3-2-4 العقد ..... 46

3-2-5 النّصبة..... 47
3-3 – أهمّية البيان وفضله ..... 47
4-علم البديع ..... 49
المبحث الثاني: المصطلحات الخاصة عند الجاحظ ..... 52
1- مسائل علم المعاني..... 52
الفصل والوصل..... 52
1-2 الحذف ..... 53
1-3 القلب..... 53
1-4 الإطناب..... 54
1-5 الإيجاز..... 56
2- مسائل البيان ..... 58
2-1- المجاز..... 58
2-2- الاستعارة..... 60
2-3- الكناية..... 62
2-4- التشبيه..... 63
3- مسائل علم البديع..... 65
3-1- الهزل ويراد به الجد ..... 65
3-2- السّجع..... 66
خاتمة ..... 69
قائمة المصادر والمراجع ..... 72
الفهرس..... 75